صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم

(مواقف ومواعظ)

-٢-

عبد العزيز الشناوي

عبد العزيز الشناوي

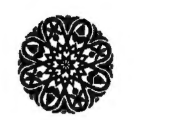
صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم

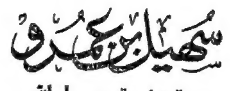
(مواقف ومواعظ)

(٢)

خبيب بن عدى
عياش بن أبى ربيعة
سهيل بن عمرو
سعيد بن عامر

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربى
١١ شارع جواد حسنى - القاهرة
ص ب ١٣٠ ت ٧٦٠٥٢٣ - ٧٥٠١٦٧





صدقت نبوءة رســول الله

أقبل جيش الروم فى فيالق كالجبال . قال خالد بن الوليد لســهيل بن عمرو وأبى عبيدة بن الجراح وعكرمة بن أبى جهل : سلموا السيوف لنساء المسلمين وامروهن بالوقوف وراء صفوف المسلمين من كل جانب . وقولوا لهن : من يولى هاربا .. فاقتلنه .

طاف بصر سهيل بن عمرو بجيش المسلمين . وتسلل الخوف الى قلبــه . ولكن يد أبى عبيدة بن الجراح استقرت على كتفه وقال : **« قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله . والله مع الصابرين »**

قال سهيل : **« ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين »** .

تهيأ الجيشان للقتال . وارتفع صوت سهيل بن عمرو : يا ابن الوليد ان ماهان قائد جيش الروم يريد أن تبرز اليه ليقول لك بضع كلمات .

وبرز خالد الى قائد جيش الروم وتواجها فوق جواديهما .. قال ماهان :

ــ قد علمنا أنه لم يخرجكم من بلادكم الا الجهد والجوع فان شئتم أعطيت كل واحد منكم عشرة دنانير وكسوة وطعاما وترجعون الى بلادكم وفى العــام القادم أبعث اليكم بمثلها .

لماذا تحجر وجه خالد وضغط على نواجده ؟ أدرك ما فى كلمات قائد الروم من صلف ؟ ماذا سيقول له ابن الوليد ؟

قال خالد : انه لم يخرجنا من بلادنا الجهد والجوع كما ذكرت ولكننا قوم نشرب الدماء وقد علمنا أنه لا دم أشهى ولا أطيب من دم الروم فجئنا لذلك .

ولوى ابن الوليد زمام فرسه عائدا الى صفوف جيشه . ورفع اللواء عاليا مؤذنا بالقتال .. هتف سهيل بن عمرو : الله أكبر ..

هتف أبو عبيدة بن الجراح : هبى رياح الجنة .
ودار قتال رهيب ..

وينادى سهيل بن عمرو فى المسلمين حين نقلت وطأة الروم عليهم قائلا :
ــ لقد كنت حربا على دين الله وقاتلت رسول الله ﷺ قبل أن يهدينى الله الى الاسلام أفأفر من أعداء الله .. اليوم ؟

وتوقف القتال الضارى ليأخذ كل جيش قسطا من الراحة .

تدفقت الذكريات فى راس سهيل بن عمرو .. فتذكر يوم أن عاد محمد ﷺ من الطائف وثقيف حزينا بعد أن لقى ما لقى من سفهاء ثقيف .. أراد أن يدخل مكه بعــد أن أخرجه أهلها .. فأرسل الى الأخنس بن شريق ليجيره . وكان الأخنس يعطى محمدا ﷺ من طرف اللســان حلاوة وكان يظهر له الود فاذا ما انصرف محمد ﷺ . وجلس الى رجال قريش نال من ابن عبد الله ﷺ .. وعاد الرجل الذى بعثه محمد ﷺ الى الأخنس فقال : ان الأخنس يعتذر بأنه حليف والحليف لا يجير .

فقال محمد ﷺ للرجل : اذهب الى سهيل بن عمرو .

وجاء الرجل الذى أرســله محمد ﷺ الى سهيل .. فقال : ان بنى عامر لا تجير على بنى كعب .

وعاد محمد ﷺ يفكر فى تسريف من أشراف قريش يجيره .. فأرسل الى المطعم بن عدى .. فقال الرجل : ان محمدا ﷺ يريد أن يدخل فى جوارك .

فقال المطعم دون تردد : نعم .

ودعا بنيه وقومه فقال : البسوا السلاح وكونوا عنــد أركان البيت فانى قد أجرت محمدا .

ودخل محمد ﷺ المسجد فقام المطعم على راحلته فنادى : يا معشر قريش انى قــد أجرت محمدا فلا يهجه أحــد منكم .

فانتهى محمد ﷺ الى الركن فاستلمه وصلى ركعتين وانصرف الى بيتــه والمطعم وولده مطيفون به وفى أيديهم السيوف . وقد أجاروا محمدا من أعدائه وان لم يدخلوا فى دين الله .

ارتفع صوت خالد بن الوليد : أريد مائة رجل لننقض على ميسرة جيش الروم .

فقال عكرمة بن أبى جهل · مائة رجل يخوضون فى أربعين ألفا ؟

قال سهيل بن عمرو : أليس ملء قلوبهم ايمان بالله العلى الكبير ؟ وايمان برسوله الصادق الأمين ؟

قال ابن الوليد : والذى نفسى بيده ما بقى من الروم من الصبر الا ما رأيتم. وانى لأرجو أن يمنحكم الله أكتافهم .

قال سهيل بن عمرو : من يبايع على الموت ؟
فبايعه على الموت كوكبة من المسلمين .

قال سهيل بن عمرو لأبى عبيدة بن الجراح : انى قد عزمت على الشهادة فهل لك من حاجة الى رسول الله ؟

قال أبو عبيدة : نعم ...
قال سهيل : ما هى ؟

قال أبو عبيدة : قل له يا نبى الله انا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا .

واندفع سهيل بن عمرو وعكرمة بن أبى الحكم وأبو عبيدة بن الجراح وخالد ابن الوليد وبقية الكوكبة المائة .. وسط الهول يضربون بسيوفهم أكتاف ميسرة جيش الروم . وكل منهم يتمنى أن يسقط شهيدا . حتى بهرت شجاعتهم قواد وأمراء جيش الروم .

ارتفع صوت سهيل بن عمرو : يا ابن الوليد .. ان جرجه أحد قواد جيش الروم يريد أن يلقاك .. ويتحدث اليك .

فخرج خالد وجرجه بين الصفين .

قال جرجه : يا خالد .. أصدقنى ولا تكذبنى فان الحر لا يكذب .. هل أنزل الله على نبيكم سيفا من السماء فأعطاك اياه فلا تسله على أحد الا هزمته ؟

قال خالد : لا ..

قال جرجه : فبم سميت سيف الله ؟

قال خالد : ان الله بعث فينا رسوله فمنا من صدقه ومنا من كذب •• وكنت فيمن كذب حتى أخذ الله قلوبنا الى الاسلام وهدانا برسوله فبايعناه •• فدعا لى الرسول وقال لى : أنت سيف من سيوف الله فهكذا سميت •• سيف الله •

قال جرجه القائد الرومانى : والام تدعون ؟
قال خالد : الى توحيد الله والى الاسلام •
قال جرجه : هل لمن يدخل فى الاسلام اليوم مثل ما لكم من المثوبة والأجر ؟
قال خالد : نعم •• وأفضل •
قال جرجه : كيف وقد سبقتموه ؟

قال خالد : لقد عشنا مع رسول الله ﷺ ورأينا آياته ومعجزاته وحق لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا أن يسلم فى يسر •• أما أنتم يا من لم تروه ولم تسمعوه ثم آمنتم بالغيب فان أجركم أجزل وأكبر اذا صـدقتم الله سرائركم ونواياكم ••

صاح جرجه : علمنى الاسلام يا خالد •

أشار خالد نحو سهيل بن عمرو وقال له : فقه أخاك فى الدين •

وأسلم جرجه •• وصلى ركعتين لم يصل سواهما • فقد استأنف الجيشان القتال وجرجه القـائد الرومانى يقـاتل فى صفوف المسلمين مستميتا فى طلب الشهادة •• فنالها وظفر بها •

وانهزم جيش الروم فى موقعة اليرموك •

عاد سهيل بن عمرو يسترسل مع ذكرياته •

جاء من المدينـة ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان هما نسـيبة أم عمـارة من بنى النجار وأم منيع أسماء بنت عمرو بن عدى واجتمعوا فى الشعب عند العقبة وكان مع محمد ﷺ عمه العباس بن عبد المطلب وهو على دين قومه وقد أوقف العباس عليـا بن أبى طالب على فم الشعب عينـا له وأوقف أبا بكر على فم الطريق عينا ••

قال العباس : ان محمدا منا حيث قد علمتم ٠ وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا ٠ فهو فى عز من قومه ومنعة فى بلده ٠ وقد أبى الا الانحياز اليكم واللحوق بكم ٠ فان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه ٠ فأنتم وما تحملتم من ذلك ٠ وان كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم فمن الآن فدعوه فانه فى عز ومنعة من قومه وبلده ٠

قال البراء بن معرور : انا والله لو كان فى أنفسنا غير ما ننطق به لقلناه ٠ ولكنا نريد الوفاء والصدق وبذل مهج أنفسنا دون رسول الله صلوات الله عليه وسـلامه ٠

فقال العباس : قد أبى محمد الناس كلهم غيركم ٠ فان كنتم أهل قوة وجلد وبصر بالحرب واستقلال بعداوة العرب قاطبـة ترميكم عن قوس واحد فأروا رأيكم وأئتمـروا بينكم ولا تفـرقوا الا عن ملأ منكم واجتمـاع فان أحسن الحديث أصدقه ٠

قال البراء بن معرور : قد سمعنا مقالة العباس ٠٠ فتكلم يا رسول الله ٠٠ فخذ لنفسك ما أحببت ولربك ما شئت ٠

قال محمد ﷺ : أشترط لربى عز وجل أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ٠٠ ولنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأبناءكم ونساءكم ٠

قال عبد الله بن رواحة : فاذا فعلنا ٠٠ فما لنا ؟
قال محمد ﷺ : لكم الجنة ٠
قال عبد الله بن رواحة : ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ٠٠ نبايعك ٠

فأخذ البراء بن معرور بيد محمد ﷺ وقال : نعم والذى بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع أزرنا ٠ فنحن والله أهل الحرب وأهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر ٠

وبينما البراء يكلم محمدا ﷺ ٠٠ قال أبو الهيثم بن التيهان : نقبـلك على مصيبة المال وقتل الأشراف ٠

وأخذ الحماس الرجال فارتفعت أصواتهم ٠٠
قال العباس : أخفوا جرسكم فأن علينا عيونا ٠

قال أبو الهيثم : يا رسول الله ان بيننا وبين اليهود حبالا وانا قاطعوها • فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا ؟

فتبسم محمد ﷺ •• ثم قال : بل الدم الدم والهدم الهدم •

فقال العباس : عليكم بما ذكرتم ذمة الله مع ذمتكم وعهد الله مع عهدكم فى هذا الشـهر الحرام والبـلد الحرام • يد الله فوق أيديكم • لتجدن فى نصرته ولتشدن من أزره •

قالوا جميعا : نعم •

قال العباس : اللهم انك سامع شاهد وان ابن أخى قد استرعاهم ذمتـه واستحفظهم نفسه • اللهم كن لابن أخى عليهم شهيدا •

ثم قال محمد ﷺ : أخرجوا الى منكم اثنى عشر نقيبا يكونون على قومهم بما فيهم •

فأخرجوا تسعة من الخزرج •• أسعد بن زرارة نقيب بنى النجار وسعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة نقيبى بنى الحارث بن الخزرج • ورافع بن مالك بن العجلان نقيب بنى زريق • والبراء بن معرور وعبد الله بن عمرو بن حرام نقيبى بنى سلمة • وعبادة بن الصامت نقيب بنى عدى وسعد بن عبادة والمنـذر بن عمرو نقيبى بنى ساعدة • ومن الأوس أسيد بن حضير نقيب بنى عبد الأشهل • وسعد بن خيثمة ورفاعة بن عبد المنذر نقيبى بنى عمرو بن عوف •

قال محمد ﷺ لهؤلاء النقبـاء : أنتم كفلاء على غيركم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم وأنا كفيل على قومى •

أخذ أسعد بن زرارة وكان أصغرهم بيد محمد ﷺ •• وقال : رويدا يلا أهل يثرب • انا لم نضرب اليه أكباد الابل الا ونحن نعلم أنه رسول الله ﷺ وان اخراجه اليوم مفارقة لجميع العرب وقتل خياركم وان نعطيكم السيوف فاما أنتم قوم تصبرون عليها اذا مستكم بقتل خياركم ومفارقة العرب كافة •• فخذوه وأجركم على الله تعالى واما أنتم تخافون من أنفسكم خفية فذروه فهو عذر لكم عند الله عز وجل •

وقال العباس بن عبادة بن نضلة : يا معشر الخزرج .. هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل ؟ انكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس فاذا كنتم ترون أنكم اذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلا أسلمتموه فمن الآن . فهـو والله أن فعلتم خزى الدنيـا والآخرة . وان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه على ما ذكرت لكم .. فهو والله خير الدنيا والآخرة .

قالوا جميعا : رضينا . ابسط يدك يا رسول الله .
فبسط محمد ﷺ يده .. وتقدم الرجال للمبايعة .

قال أبو الهيثم : أبايعك يا رسول الله على ما بايع عليه الاثنا عشر نقيبا من بنى اسرائيل موسى بن عمران عليه السلام .

وقال عبد الله بن رواحة : أبايعك يا رسول الله على ما بايع عليه الاثنا عشر من الحواريين عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام .

وقال أسعد بن زرارة : أبايع الله عز وجل يا رسول الله فأبايعك على أن أتم عهدى بوفائى ، وأصدق قولى بفعلى فى نصرك .

وقال النعمان بن الحارث : أبايع الله عز وجل يا رسول الله وأبايعك على الاقدام فى أمر الله عز وجل لا أرأف فيه القريب ولا البعيد .

وقال عبادة بن الصامت : أبايعك يا رسول الله على أن لا تأخذنى فى الله لومة لائم .

وقال سعد بن الربيع : أبايع الله وأبايعك يا رسول الله على ألا أعصى لكما أمرا ولا أكذبكما حديثا .

وارتفع صوت منبه بن الحجاج من فوق رأس الجبل : يا معشر قريش .. هذه بنو الأوس والخزرج تحالف على قتالكم .

ففزع الأنصار .. فقال محمد ﷺ لا يروعكم هذا الصوت .
قال العباس بن عبادة بن نضلة : والذى بعثك بالحق ان شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيافنا .

فقال محمد ﷺ : لم أومر بذلك ولكن ارجعوا الى رحالكم .
فرجعوا الى مضاجعهم والقمر يكسو منى وجبالها .

وجاء منبه بن الحجاج الى سهيل بن عمرو ، فجمعا متسيخه قريش ، ودخلوا الشعب .. فقالوا : يا معشر الأوس والخزرج بلغنا أنكم جئتم الى صاحبنا هذا لتحرجوه من بين أظهرنا وتبايعوه على حربنا ، والله ما من حى أبغض الينا ان تنشب الحرب بيننا وبينه منكم .

فراح مشركو الأوس والخزرج يحلفون لهم ما كان من هذا شيء وما علمنا ، وجعل عبد الله بن أبى بن سلول يقول فى انفعال لأبى الحكم ابن هشام : هذا باطل ، هذا باطل وما كان هذا وما كان قومى ليفتاتوا على بمثل هذا لو كنت بيثرب ، ما صنع هذا قومى حتى يؤامرونى .

ونفر الناس من منى ، والتقى منبه بن الحجاج بوجوه قريش وأخبرهم ببيعة العقبة .. فاقتفوا أثر من بايعوا محمدا ﷺ .. ولم يدركوا الا سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو ، وكانا قد تخلفا لبعض شأنهما فى مكة ، فأمسكوا سعدا وربطوا يديه فى عنقه وراحوا يلطمونه على وجهه ويجذبونه من شعره الكثيف حتى أدخلوه مكة ، وبينما هو مع القوم يضرب اذ طلع عليه رجل أبيض وضيء طويل رائد الحسن .. فقال سعد فى نفسه : « ان يكن عند أحد من القوم خير فعند هذا » .

فلما دنا منه رفع يديه ولكمه لكمه شديدة .. فقال سعد فى نفسه : « والله ما عندهم بعد هذا خير » .

ثم أشار سعد نحوه .. وقال : من هذا الرجل ؟
قالوا : سهيل بن عمرو .

رأى أبو البخترى بن هشام سعد بن عبادة وهو يعذب .. فقال هامسا .
ـ ويحك .. ما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد ؟

فقال سعد فى جهد : بلى .. كنت أجير لجبير بن مطعم تجارته وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادى ، وللحارث بن حرب .

وهرع أبو البخترى الى حيث كان جبير والحارث فى الحرم .. فقال لهما :
ـ ان رجلا من الخزرج يضرب بالأبطح .. يهتف باسمكما .

قالا : من هو ؟

فقال ابو البخترى : يقول انه سعد بن عبادة .

وانطلق جبير بن مطعم والحارث بن حرب أخو أبى سفيان الى الأبطح .. وأجارا سعد بن عبادة وخلصاه من أيديهم . وكان المنذر بن عمرو قد أحس انهم يطلبونه فأفلت منهم . وخرج سعد بن عبادة من مكة يغذ السير .. ليلحق باخوانه الأنصار .

قال أبو عبيدة بن الجراح : هيا يا سهيل لنعود الى مكة بعد أن أنعم الله علينا بفتح الشام .

قال سهيل : يعلم الله حبى لمكة .. ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقول :
ـ قيام أحدكم فى سبيل الله ساعة خير من عمله طوال عمره . وانى لمرابط هنا فى سبيل الله حتى أموت .

بعد أن وضعت وقعة بدر أوزارها مشى محمد ﷺ وأصحابه حتى قاموا على شفة القليب .. فقال محمد ﷺ : يا عتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة ويا أمية بن خلف ويا أبا جهل بن هشام . بئس عشيرة النبى كنتم . كذبتمونى وصدقنى الناس . وأخرجتمونى وآوانى الناس . وقاتلتمونى ونصرنى الناس . هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ فانى وجدت ما وعدنى ربى حقا .

فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله كيف تكلم أجسادا قد جيفوا ؟

فقال محمد ﷺ : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم .

وقدم زيد بن حارثة على ناقة محمد ﷺ يبشر أهل المدينة .. فقال : يا معشر الأنصار أبشروا بسلامة رسول الله وقتل المشركين وأسرهم . قتل ابنا ربيعة وابنا الحجاج وأبو جهل وزمعة بن الأسود وأمية بن خلف وأبو البخترى . وأسر سهيل بن عمرو ذو الأنياب فى أسرى كثير .

فجعل الناس لا يصدقون زيد بن حارثة ويقولون : ما جاء زيد الا فلا .

حتى غاظ ذلك المسلمين وخافوا . فقال رجل من أصحاب عبد الله بن أبى ابن سلول : قتل صاحبكم ومن معه .

وقال اخر : قد تفرق أصحابكم تفرقا لا يجتمعون معه أبدا • وقد قتل عليه أصحابكم وقتل محمد وهذه ناقته نعرفها • وهذا زيد بن حارثة لا يدرى ما يقول من الرعب وقد جاء فلا •

فقام عاصم بن عدى الى عبد الله بن رواحة الذى جاء مع زيد بن حارثة مبشرين •• فقال له : أحقا ما قاله زيد يا ابن رواحة ؟

قال عبد الله بن رواحة : أي والله •• وغدا يقدم رسول الله ﷺ و •• ان شاء الله ومعه الأسرى مقرنين •

فهلل أبو لبابة بن عبد المنذر •• وقال :
ـ يا أهل المدينة •• لا تصدقوا قول المرجفين •• وغدا ان شاء الله يقدم نبي الله ومعه الأسرى •• وسوف يضرب أعناق المنافقين •

قال أصحاب عبد الله بن أبى بن سلول : انما هو شيء سمعنا الناس يقولونه •

وظن أهل الشجاعة أن محمدا ﷺ سيخصهم بالغنيمة دون غيرهم من أهل الضعف • فلما أمر محمد ﷺ أن تقسم بينهم على سواء •• قال سعد بن أبو وقاص :
ـ يا رسول الله تعطى الفارس الذى يحمى القوم مثل ما تعطى الضعيف :

قال محمد ﷺ : ثكلتك أمك • وهل تنصرون الا بضعفائكم ؟
وأمر محمد ﷺ بضرب عنق النضر بن الحارث •
قال المقداد بن الأسود : أسيرى يا رسول الله •

قال محمد ﷺ : اللهم اغن المقداد من فضلك • قم يا على فاضرب عنق النضر •
فقام على فضرب عنقه •

ودثر الأسرى خوف قاتل • وكان سهيل بن عمرو يرتجف من الرأس الى القدم فقد رماه سعد بن أبى وقاص بسهم فقطع نساءه • فأتبع أثر الدم حتى وجده قد أخذه مالك بن الدخشم وهو ممسك بناصيته فقال سعد بن أبى وقاص :

ـ أسير رميته .

فقال مالك : أسيرى أخذته .

فأتيا محمدا ﷺ فأخذه منهما . ورآه عمر بن الخطاب .. فقال : يا رسول الله .. دعنى أنزع ثنيتى سهيل بن عمرو ويدلع لسانه فلا يقـوم عليك خطيبا بعد اليوم .

فقال محمد ﷺ : كلا يا عمر .. لا أمثل بأحد فيمثل الله بى وان كنت نبيا .
ثم أدنى عمر منه وقال : يا عمر .. لعل سهيلا يقف غدا مقاما يسرك .

بعد أن أمر محمد ﷺ بقتل النضر بن الحارث لم يعد سهيل بن عمرو يأمن على حياته فراح يتحين الفرص للهرب ..

ونظر محمد ﷺ الى عقبة بن أبى معيط نظرة ارتجفت لها فرائصه . فقد داس على رقبـة محمد ﷺ وهو سـاجد فى الحرم حتى كادت عيناه أن تخرجا من محجريهما . وقال محمد ﷺ وقتئذ : لأقتلنك أن التقيت بك خارج مكة .

ثم أمر محمد ﷺ عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح أن يضرب عنـق عقبـة ابن أبى معيط .

فقال عقبة : يا ويلى علام أقتل يا معشر قريش من بين من هاهنا ؟
فقال محمد ﷺ : لعداوتك لله ولرسوله .

قال عقبة : يا محمد منك أفضل فاجعلنى كرجل من قومى ان قتلتهم قتلتنى وان مننت على . وان أخذت منهم الفداء كنت كأحدهم . يا محمد من للصبية ؟

قال محمد ﷺ : النار .. قدمه يا عاصم فاضرب عنقه .
فقدمه عاصم فضرب عنقه .
فقال محمد ﷺ : بئس الرجل كنت . والله ما علمت كافرا بالله وبرسوله وبكتابه مؤذيا لنبيه منك . فأحمد الله الذى قتلك وأقر عينى منك .

وكان منادى محمد ﷺ قد نادى : من قتل قتيلا فله سلبه . ومن أسر أسيرا فهـو له .

وكانت الابل التى أصابها محمد ﷺ وأصحابه مائة وخمسين بعيرا وكان مع قريش أدم كثير حملوه للتجارة وأصاب المسلمون من خيول قريش عشرة أفراس وكان جمل أبى الحكم بن هشام فيما غنموه فأخذه محمد ﷺ • وسار محمد ﷺ والذين معه ليدخلوا المدينة ومعهم الأسرى • حتى اذا ما بلغوا تنوكة بين السقيا وملل وسهيل بن عمرو مع ابن الخشم •

قال سهيل لمالك : خلي سبيلى للغائط •
فقام معه • فقال سهيل : انى أحتشم فاستأخر عنى •

فاستأخر عنه فمضى سهيل على وجهه • وانتزع يده من القران ومضى • فلما أبطأ على مالك بن الدخشم صاح فى الناس : هرب سهيل بن عمرو •

فخرجوا فى طلبه • وخرج محمد ﷺ فى طلبه بنفسه وقال : من وجده فليقتله•

وراحوا ينقبون عنـــه على ظهور الجياد والابل • وانطلق محمد ﷺ فى ثره فوجده أخفى نفسه بين شجرات فتقدم اليه فاذا سهيل بن عمرو لا يتحرك من مكانه فقبض عليه ثم عاد فربطت يداه الى عنقه ثم قرنه الى راحلته •

وحبس الأسرى وجعل عليهم شقران مولى محمد ﷺ فطمعوا فى الحياة ، فقال سهيل بن عمرو : لو بعثنا الى أبى بكر فانه أوصل قريش لأرحامنا •

فبعثوا الى أبى بكر فأتاهم •• فقالوا : يا أبا بكر فينا الآباء والأبنـــاء وبنو العم وأبعدنا قريب • كلم صاحبك فليمن علينا ويفادنا •

قال أبو بكر : نعم ان شاء الله • لا آلوكم خيرا •
ثم انصرف الى محمد ﷺ •

قال ســـهيل بن عمرو : ابعثـــوا الى عمر بن الخطاب فانه من قد علمتم ولا يؤمن أن يفسد عليكم لعله يكف عنكم •

فأرسلوا اليه فجاءهم • فقالوا له مثل ما قالوا لأبى بكر •
فقال عمر : لا آلوكم شرا •

ثم انصرف الى محمد ﷺ فوجد أبا بكر عنده والناس حوله وأبو بكر يلينه ويغشاه ويقـول : يا رسول الله بأبى أنت وأمى وقومك فيهم الآباء والأبنـاء والعمومة وبنو العم وأبعدهم منك قريب . فامنن عليهم من الله عليك أوفادهم قوة للمسلمين فلعل الله يقبل بقلوبهم اليك .

ثم قام فتنحى ناحية وسكت محمد ﷺ ولم يجبه . فجاء عمر فجلس مجلس أبى بكر .. فقال : يا رسول الله هم أعـداء الله كذبوك وقاتلوك وأخرجوك اضرب رقابهم فهم رءوس وأئمة الضلال يوطىء الله بهم الاسلام ويذل الشرك . يا رسول الله أطعنى فيما أشير به عليك فانى لا آلوك نصحا . قدم عمك العباس فاضرب عنقه بيدك وقدم عقيلا الى أخيه يضرب عنقه وقدم كل أسير منهم الى أقرب الناس اليه يقتله .

فسكت محمد ﷺ ولم يجبه . وعاد أبو بكر الى مقعده الأول .. فقال : بأبى أنت وأمى .. قومك فيهم الآباء والأبناء والعمومة والاخوان وبنو العم وأبعدهم منك قريب . فامنن عليهم أو فادهم . هم عشـيرتك وقومك لا تكن أول من يستأصلهم وأن يهديهم الله خير من أن يهلكهم .

فسكت محمد ﷺ ولم يرد عليه .. وقام ناحية فقام عمر فجلس مجلسه .. فقال : يا رسول الله ما تنتظر بهم ؟ اضرب أعناقهم يوطىء الله بهم الاسـلام ويذل أهل الشرك . هم أعداء الله كذبوك وأخرجوك يا رسول الله اشف صدور المؤمنين . لو قدروا منا على مثل هذا ما أقالونا أبدا .

وقام سعد بن معاذ .. فقال : اقتل ولا تأخذ الفداء .
قام محمد ﷺ ودخل داره فمكث سـاعة . ثم خرج والناس يخوضون فى شأنهم .. يقول البعض : القول ما قال أبو بكر .
وآخرون يقولون : القول ما قال عمر .

فلما خرج محمد ﷺ .. قال للناس : ما تقولون فى صاحبيكم هذين ؟ دعوهما فان لهما مثلا . مثل أبى بكر فى الملائكة كمثل ميكائيل ينزل برضا الله على عباده . ومثله فى الأنبياء كمثل ابراهيم كان ألين على قومه من العسل . أوقد له قومه النار فطرحوه فيها فما زاد على أن قال : « **أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون** » وقال : « **فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم** » .

وكعيسى اذ يقول : « ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم » • ومثل عمر فى الملائكة كمثل جبريل ينزل بالسخط من الله والنقمة على أعداء الله • ومثله فى الأنبياء كمثل نوح كان أشد على قومه من الحجارة اذ يقول : « رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا » فدعا عليهم دعوة أغرق الله بها الأرض جميعا • ومثل موسى اذ يقول : « ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم » وان بكم عيلة • فلا يفوتنكم رجل من هؤلاء الا بفداء أو ضربة عنق •

وانطلق محمد ﷺ الى حيث حبس الأسرى فألقى نظرة عليهم •• ثم قال :
ــ لو كان مطعم بن عدى حيا لوهبت له هؤلاء النتنى •

لم ينس محمد ﷺ أن قومه أخرجوه وقد خيروه بين القتل والخروج فخرج الى الطائف ولقى من ثقيف أذى كبيرا •• فعاد هو وزيد بن حارثة الى غار حراء • وبعث الى الأخنس بن شريق وسهيل بن عمرو ليدخلاه فى جوارهما فأبيا • وأجاره مطعم بن عدى وبسط حمايته عليه ومنع عنه أذى قريش وان لم يدخل فى دينه • لم ينس محمد ﷺ هذه اليد •• وهو يملك رقاب أشراف مكة • من أبوا أن يجيروه•• بتذكر فضل المطعم ويقول لو كان حيا لجازاه بأن يهب له أسارى بدر •• وسار محمد ﷺ الى عمه العباس وقال له : افد نفسك يا عباس وابنى أخويك عقيل بن أبى طالب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب وحليفك عقبة بن عمرو فانه ذو مال •

قال العباس : يا رسول الله انى كنت مسلما ولكن القوم استكرهونى •

قال محمد ﷺ : الله أعلم باسلامك ان يكن ما قلت حقا فان الله يجزيك به واما ظاهر أمرك قد كان علينا فافتد نفسك •

وكان محمد ﷺ قد أخذ منه عشرين أوقية من الذهب أصابها معه حين أسر • فقال العباس : يا رسول الله احبسها لى فى فدائى •

قال محمد ﷺ : ذاك شىء أعطانا الله منك •

ووقف محمد ﷺ على أبى عزة عمرو بن عبد الله الجمحى • وكان شاعرا •• فقال أبو عزة : ان لى خمس بنات ليس لهن شىء • فتصدق بى عليهن يا محمد

أعطيك موثقا ألا أقاتلك ولا أكثر عليك أبدا • فأطلق محمد ﷺ سراحه • فانطلق أبو عزة الى مكة مسرورا وهو لا يصدق أنه قد نجا من الأسر دون فداء ••

قال أبو عبيدة بن الجراح : ألا تريد شيئا من المدينة •• يا سهيل ؟

قال سهيل : اقرىء أمير المؤمنين عمر منى السلام •

أخذ المطلب بن أبى وداعة السهمى يتجهز للخروج الى المدينة ليفدى أباه •• فجاءته قريش • فقالت : لا تعجل فانا نخاف ان تفسد علينا فى أسارانا ويرى محمد تهالكنا فيغلى علينا الفدية • فان كنت تجد فان كل قومك لا يجدون من السعة ما تجد •

قال المطلب : لا أخرج حتى تخرجوا •

وكان أناس غير المطلب يرون الخروج لفداء الأعزة لولا الحياء • فزينب بنت محمد ﷺ تحب أن تبعث الى أبيها من يفتدى منه زوجها أبا العاص بن الربيع ولكنها كانت عاجزة عن الخروج وحدها فهى بين أهل مكة وقد ملئت قلوبهم حقدا على أبيها فلو خرجت لكانت هدفا سهلا لسهام متعطشة الى دماء محمد ﷺ والى أهل بيته ولم يستطع المطلب بن أبى وداعة أن يصبر على فداء أبيه فخادع قريشا حتى اذا غفلوا خرج ليلا وافتدى أباه بأربعة آلاف درهم وكان أول أسير افتدى• ثم عاد الى مكة وهو يكاد يطير من الفرح فلامتــه قريش على ذلك •• فقال :

— ما كنت لأترك أبى أسيرا فى أيدى القوم وأنتم مضجعون •

فقال أبو سفيان بن حرب : ان هذا غلام حدث يعجب بنفسه وبرأيه وهو مفسد عليكم • انى والله غير مفتد عمرو بن أبى سفيان ولو مكث سنة أو يرسله محمد • والله ما أنا بأعوزكم ولكنى أكره أن أدخل عليكم ما يشق عليكم ولكن يكون عمرو كأسوتكم •

وسكت الناس وان كانت قلوبهم تهفــو الى الأسرى • ثم انتشر فى مكة همس يقول : ما يمنع أبا سفيان من فداء ابنه غير شحه فقد اشتهر عنه ذلك الشح بين قومه • وعجز الناس عن احتمال بقاء الآباء والأبناء والأعمام والأحبة فى الأسر •• فشد الرجال الرحال الى المدينة فى فداء أربعة عشر رجلا : من بنى عبد شمس الوليد بن عقبة بن أبى معيط وعمرو بن الربيع أخو أبى العاص بن الربيع ومن بنى نوفل بن عبد مناف جبير بن مطعم ومن بنى عبد الدار بن قصى

طلحه بن أبى طلحه ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى عثمان بن أبى حبيش ومن بنى مخزوم عبد الله بن أبى ربيعة وخالد بن الوليد وهشام بن الوليد بن المغيرة وفروة بن السائب وعكرمة بن أبى الحكم بن هشام ومن بنى جمح أبى ابن خلف وعمير بن وهب ومن بنى سهم عمرو بن قيس ومن بنى مالك بن حل مكرز بن حفص بن الأحنف . وانطلق الرجال الى مسجد محمد ﷺ فاذا به قائم يصلى يرتل :

« **والطور . وكتاب مسطور . فى رق منشور . والبيت المعمور . والسقف المرفوع . والبحر المسجور . ان عذاب ربك لواقع . ما له من دافع . يوم تمور السماء مورا . وتسير الجبال سيرا . فويل يومئذ للمكذبين . الذين هم فى خوض يلعبون . يوم يدعون الى نار جهنم دعا . هذه النـــار التى كنتم بها تكذبون . أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون . اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون** .. »

وجعل جبير بن مطعم بن عدى يصغى الى محمد ﷺ فاذا بالآيات تتنزل الى قلبه لكأنها نور أضاء بصيرته . وارتجف من آيات الوعيد . وأشرق بالأمل لما تمس فؤاده آيات التبشير . وهام فى عالم الملكوت . وأوشك أن ينهض ويشهد على الملأ أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله . ولكنه قاوم هذه الرغبة وان دخل الاسلام قلبه . وافتدى جبير بن مطعم بن عدى بن الخيار وعثمان بن عبد شمس وأبا ثور . وجلس جبير الى حوار محمد ﷺ كلما قام للصلاة أو جلس لتــلاوة القرآن . فأصبح جبير بن مطعم أسير سحر ما يرتل محمد ﷺ .

وراح الوليد بن عقبة يساوم سعد بن أبى وقاص فى أســيره الحارث بن أبى وجرة بن أبى عمرو بن أمية حتى افتداه بأربعة آلاف درهم .

وصار أبو عزيز بن عمير بالقرعة لمحرز بن نضلة . فجاءه أخوه مصعب بن عمير وقال لمحرز : اشدد يدك به . فان له بمكة كثيرة المال .

فقال له أبو عزيز : هذه وصاتك بى يا أخى ؟
قال مصعب : انه أخى دونك .
وكانت أمه خناس بنت مالك قد سألت : ما أغلى ما تفادى به قريش ؟ فقيل لها : أربعة آلاف . فبعثت فيه أمه أربعة آلاف .

وقدم طلحة بن أبى طلحة فى فداء الأسود بن عامر بن الحارث بن السباق أسره حمزة بن عبـد المطلب • وقدم عثمان بن أبى حبيش فى فداء السائب بن أبى حبيش وسالم بن شماخ وعثمان بن الحويرث •• وقد فدى كل رجل منهم بأربعة آلاف •

وقدم خالد بن الوليد وهشام بن الوليد فى فداء أخيهما الوليد بن الوليد بن المغيرة • فتمنع عبد الله بن جحش حتى يدفعا فيه أربعة آلاف • فجعل هشام بن الوليد يقول : ثلاثة آلاف •

فقال خالد لهشام : انه ليس ابن أمك • والله لو أبى فيه عبد الله بن جحش الا سبعة آلاف لفعلت •

وافتدياه بأربعة آلاف • ثم خرجا حتى بلغا بالوليد ذا الحليفة فأفلت وأتى محمدا ﷺ •• وأسلم • فقيل له : ألا أسلمت قبل أن تفتدى ؟

قال الوليد بن الوليد : كرهت أن أسلم حتى أكون أسوة بقومى •

وقدم عمرو بن الربيع فى فداء أخيه العاص بن الربيع فقدم الى محمد ﷺ ما بعثت به ابنته زينب فى فداء زوجها فاذا به مال وقلادة لها كانت خديجة بنت خويلد أدخلتها بها على أبى العاص حين بنى بها • فترقرق الدمع فى عينى محمد ﷺ •• وقال : ان رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها مالها فافعلوا •

فقالوا : نعم يا رسول الله •

وقدم عكرمة بن أبى الحكم بن هشام فى فداء خالد بن الأعلم العقيلى حليف بنى مخزوم • وكان أول المنهزمين أسره الحباب بن المنذر بن الجموح •

وجاء أناس الى أبى سفيان وهو جالس مع العباس بن عبـد المطلب فى الحجر •• وقالوا : ألا تفتدى ابنك عمرا ؟

فقال أبو سفيان وقد فقد حلمه : أيجمع على دمى ومالى ؟ قتلوا حنظلة وأفتدى عمرا ؟

فقد كان قلب أبى سفيان يقطر حقداً على على بن أبى طالب •• فهو قاتل حنظلة وآسر عمرو •

وقدم مكرز بن حفص فى فداء سهيل بن عمرو • وكان الذى أسره مالك بن الدخشم اخو بنى سالم بن عوف •• قال :

أسرت سهيلا فلا أبتغى — أسيرا به من جميع الامم
وخندف تعلم ان الفتى — فتاها سهيل اذا يظلم
ضربت بذى الشفر حتى انثنى — واكرهت نفسى على ذى العلم

وتمنع مالك بن الدخشم حتى يدفع مكرز فى سهيل أربعة آلاف •• واتفقا • فقال مالك : ادفع •

قال مكرز : اجعل رجلى مكان رجله وخل سبيله •• حتى يبعث اليك بفدائه فخلى مالك سبيل سهيل بن عمرو وحبس مكرزا مكانه •

فأرسل سهيل أربعة آلاف •• فخلى مالك سبيل مكرز بن حفص •

تهيأ الجيش العائد من الشام للعودة الى المدينة ••

تذكر سهيل بن عمرو يوم أن خرج محمد فى ذى الحجة معتمرا لا يريد حربا • واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادى ليخرجوا معه • وهو يخشى من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت فأبطأ عليه كثير من الأعراب• ولكنه خرج بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب • وساق معه الهدى، وأمرهم بالعمرة ليأمن الناس من حربه وليعلم الناس أنه خرج زائرا للبيت ومعظما له • وخرج ابن عبد الله فى سبعمائة وسبعين بدنة • فكانت كل بدنة عن عشرة • سأله عمر بن الخطاب •• لماذا لا نحمل سلاحا •• يا رسول الله ؟ ولماذا نضع السيوف فى القرب ؟ أتخشى من أبى سفيان وأصحابه ؟ ولم تأخذ للحرب عدتها ؟

قال محمد ﷺ : لست أحب أن أحمل السلاح معتمرا •

وسار محمد ﷺ وأتباعه حتى اذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبى•• فقال : يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل وقد نزلوا بذى طوى يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدا • وهذا خالد بن الوليد فى خيلهم قد قدموها الى كراع الغميم •

فقال محمد ﷺ : يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بينى وبين سائر العرب فان هم أصابونى كان ذلك الذى أرادوا وان أظهرنى الله عليهم دخلوا الاسلام وافرين وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فما تظن قريش ، فوالله لا أزال أجاهد على الذى بعثنى به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة ثم قال محمد ﷺ : هل من رجل يخرج بنا عن طريق غير طريقهم التى هم بها ؟

فقال ناجية بن جندب من بنى أسلم : أنا يا نبى الله ٠

فسلك بهم طريقا وعرا بين شعاب حتى نال منهم الجهد فلما خرجوا منه وقد شق ذلك على المسلمين وأفضوا الى أرض سهلة عند منقطع الوادى .. قال محمد ﷺ : قولوا نستغفر الله ونتوب اليه ٠

فقال المسلمون : نستغفر الله ونتوب اليه ٠

فقال محمد ﷺ : والله انها للحطة التى عرضت على بنى اسرائيل ولم يقولوها .. قيل لبنى اسرائيل « **ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم** » فبدلوا وقالوا : حنطة استهزاء وجراءة على الله ثم أمر محمد ﷺ أصحابه أن يسلكوا ذات اليمين بين ظهرى الحمص فى طريق تخرجهم على ثنية المرار مهبط الحديبية من أسفل مكة ، فسلكوا ذلك الطريق حتى أصبحوا على حدود الحرم ، ولم يشعر بهم خالد بن الوليد ، وارتفع صوت المسلمين بالتكبير والتهليل ، وانطلق محمد على ناقته القصواء والمسلمون من حوله على خيلهم وابلهم ، ولاح لهم سهل الحديبية ، ولم يبق الا أن يتقدموا بضعة أميال ويطوفوا بالبيت .. بركت القصواء ، وظن الناس أنها حرنت .. فقالوا :

ــ خلأت القصواء ٠

وأخذوا يقولون : حل .. حل ٠

فقال محمد ﷺ ما حل ٠

قالوا : خلأت القصواء ٠

قال محمد ﷺ : ما خلأت وما هو لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة ٠

وأدرك ابن عبد الله أن ذلك صد له من الله عن مكة أن يدخلها قهرا ٠٠ فقال : والذى نفس محمد بيده لا تدعونى قريش الى خطة يعظمون بها حرمات الله وفيها صلة الرحم الا أعطيتهم اياها ٠

ثم قال محمد ﷺ للناس : انزلوا ٠
فقال المسلمون : يا رسول الله ما بالوادى ماء ٠

فأخرج محمد ﷺ سهما من كنانته وأعطاه رجلا من أصحابه فنزل فى قليب فجاشت البئر بالرواء ٠

وكان خالد بن الوليد قد صف فرسانه عند كراع الغميم وقد ظن أن المسلمين لن يستطيعوا أن يصلوا الى مكة الا اذا شقوا طريقهم فى فرسانه الذين كانوا فى عدة القتال ٠ وكان واثقا أن المسلمين جاءوا معتمرين وليس معهم الا السيوف فى القرب ولن تغنى هذه شيئا اذا ما عمدوا الى العنف ٠ ولكن لما سار المسلمون الى ثنية المرار فى غفلة منه وأصبحوا على بعد تسعة أميال من مكة ٠ تيقن خالد أنه خدع فركض راجعا الى قريش ٠٠ وقال : ان محمدا والذين معــه قد بلغوا الحديبية وأنهم فى طريقهم الى الحرم ٠

وكان أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وكثير من ســادات قريش فى سوق بصرى ٠ وكان أمر مكة لسهيل بن عمرو ٠

قال بنو كعب وبنو عامر : ويحكم ٠٠ لم لا نناجز محمدا والذين معه ؟

قال بديل بن ورقاء ســيد بنى خزاعة : لم لا نرسل الى محمد ونســأله عما أقدمه الى مكة فى أصحابه ؟

نظرت قريش الى بديل فى ريبة ٠
قال سهيل بن عمرو : اذهب اليه ٠

وبعد أن اطمأن محمد ﷺ ٠٠ أتاه بديل بن ورقاء الخزاعى فى رجال من خزاعة ٠٠ فقالوا : ما الذى جاء بك ؟

قال محمد ﷺ : لم آت لحرب وانما جئت زائرا البيت ومعظما لحرمته ٠

فرجع بديل والخزاعيون الى قريش .. فقالوا : يا معشر قريش .. انكم تعجلون على محمد . انه لم يأت لقتال وانما جاء زائرا هذا البيت .

قال سهيل بن عمرو : ان كان قد جاء ولا يريد قتالاً فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبدا ولا تحدث بذلك عنا العرب . أيريد محمد أن يدخلها علينا فى جنوده معتمراً ..؟ كيف يحدث ذلك وبيننا وبينه من الحرب ما بيننا ؟ والله لا كان هذا أبدا وبنا عين تطرف .

وقال سفهاء قريش لبديل والخزاعيين الذين معه : أنتم عيبة نصح محمد مسلمها ومشركها . لا تخفون عنه شيئا كان بمكة .. اننا نفطن لذلك .

ثم بعثت قريش الى محمد ﷺ مكرز بن حفص أخا بنى عامر ..فلما رآه محمد مقبلا .. قال : هذا الرجل غادر .

فلما انتهى مكرز الى محمد ﷺ .. قال له : انا لم نأت لقتال أحد ولكن جئنا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فان شاءوا مددناهم مدة ويخلوا بينى وبين الناس فان شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا والا فقد استراحوا . فوالله لأقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى أو لينفذن الله أمره .

قال مكرز : سأخبرهم بما قلت .

فبعثت قريش الحليس بن علقمة سيد الأحابيش فلما رآه محمد .. قال :

ـ ان هذا من قوم يتألهون ويظمون أمر الاله . ابعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه .

فلما رأى الهدى يسيل عليه بقلائد من عرض الوادى قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله الذى ينحر فيه من الحرم . واستقبله الناس يلبون قد شعثوا .

صاح الحليس وقال :

ـ سبحان الله ما ينبغى لهؤلاء أن يصدوا عن البيت . أبى الله أن يحج لخم

وجذام ونهد وحمير ويمنع ابن عبد المطلب ؟ هلكت قريش ورب الكعبة . انما القوم أتوا عمارا .

قال محمد : أجل يا أخا بنى كنانة .
ورجع الحليس الى قريش .. فقال لهم :
ـ انى رأيت ما لا يحل منعه .
قال خالد بن الوليد : ماذا رأيت ؟
قال الحليس :
ـ رأيت الهدى فى قلائد قد أكل أوباره والرجال قد شعثوا .
قال سهيل بن عمرو : اجلس فانما أنت أعرابى ولا علم لك .
فغضب الحليس .. وقال :

ـ يا معشر قريش والله ما على هذا حالفتكم ولا على هذا عاقدناكم بصد عن بيت الله من جاء معظما . والذى نفس الحليس بيده لتخلن بين محمـد وما جاء أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد .

فلما رأى سهيل بن عمرو وسـادات قريش غضب سـيد الأحابيش .. قالوا له :

ـ مه يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .
ثم بعثوا الى محمد ﷺ عروة بن مسعود الثقفى .. فقال :

ـ يا محمد . أجمعت أوشاب الناس ثم جئت بهم الى بيضتك لتفضها بهم . انها قريش قـد خرجت معها العوذ المطافيل . قد لبسوا جلود النمور . يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة أبدا . وانى أرى وجوها وأوشابا من الناس خليقا أن يفروا ويدعوك . وأيم الله لكأنى بهؤلاء قـد انكشفوا غدا عنك .

وكان أبو بكر جالسا خلف محمد ﷺ .. فقال :

ـ امصص بظر اللات . أنحن ننكشف عنه ؟

تساءل عروة :
ـ من هذا يا محمد ؟
قال محمد ﷺ : هذا ابن أبى قحافة .

فقال عروة لأبى بكر :

ـ أما والله لولا يد كانت لك عندى لكافأتك بها .. ولكن هذه بهـا .

ثم جعل يتناول لحية محمد ﷺ وهو يكلمه والمغيرة بن شعبة واقف على رأس محمد ﷺ وقد لبس درعه وغطت خوذته وجهه ولم يكن يبدو منه الا عيناه . فجعل يقرع يد عروة .. ويقول :

ـ اكفف يدك عن وجه رسول الله ﷺ . فانك لا ينبغى لمشرك ذلك .

فقال عروة :

ـ من هذا يا محمد ؟ الذى آذانى من بين أصحابك ؟ والله انى لا أحسب فيكم ألأم منه ولا شر منزلة .

قال محمد : هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة .

قال عروة : أى غدر . وهل غسلت سوءتك الا بالأمس ؟ وقد أورثتنا العداوة من ثقيف الى آخر الدهر .

كان المغيرة قبل اسلامه قتل ثلاثة عشر رجلا من بنى مالك من ثقيف صحبهم الى مصر فقتلهم وأخذ أموالهم .. ثم جاء الى المدينة فأسلم .

قال محمد ﷺ للمغيرة :

ـ انا لم نأت لقتال ولكن جئنا معتمرين .

فقام عروة من عند محمد ﷺ وقد رأى ما يصنع به أصحابه . لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه . ولا يبصق بصاقا الا ابتدروه . ولا يسقط من شعره شىء الا أخذوه . اذا تكلم خفضوا أصـواتهم . فرجع عروة الى قريش فقـال : يا معشر قريش .. انى قـد جئت كسرى فى ملكه وقيصر فى ملكه والنجاشى فى ملكه . وانى والله ما رأيت ملكا فى قوم قط مثل محمد فى أصحابه . ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشىء أبدا . فروا رأيكم فانه عرض عليكم رشـدا فاقبـلوا ما عرض عليكم فانى لكم ناصح مع انى أخاف أن لا تنصروا عليه .

قال سهيل بن عمرو :
ـ لا تتكلم بهذا يا أبا يعفور ولكن نرده عامنا هذا ويرجع الى قابل •
قال عروة :
ـ ما أراكم الا ستصيبكم قارعة •
ثم انصرف عروة ومن معه الى الطائف •

ودعا محمد ﷺ خراش بن أمية الخزاعى فبعثه الى قريش وحمله على بعير له يقال له التعلب ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له • فعقر عكرمة بن أبى الحكم جمل محمد • وأراد القوم قتل خراش فمنعه الأحابيش وخلوا سبيله حتى أتى محمدا ﷺ وأخبره بما لقى • فدعا عمر بن الخطاب ليبعثه الى مكة فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له •• فقال عمر .

ـ يا رسول الله انى أخاف قريشا على نفسى وليس بمكة من بنى عدى بن كعب أحد يمنعنى وقد عرفت قريش عداوتى اياها وغلظتى عليها • ولكن أدلك على رجل أعز بها منى •• عثمان بن عفان •

فدعا محمد ﷺ عثمان بن عفان فبعثه الى أشراف مكة فلقيه أبان بن العاص فحمله بين يديه •• ثم أجاره •

قال عثمان : ان رسول الله ﷺ لم يأت الا زائرا لهذا البيت ومعظما لحرمته•
قال سهيل بن عمرو :
ـ يا ابن عفان ان شئت أن تطوف بالبيت فطف •
فقال عثمان :
ـ ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ •
فحبسته قريش عندها •

وجاء عشرة من أصحاب محمد ﷺ يستأذنونه فى الدخول الى مكة ليزوروا أهاليهم فأذن لهم •

وبلغ محمد ﷺ أن عثمان قد قتل •• فقال :
ـ لا نبرح حتى نناجز القوم •
ثم نظر الى من حوله وقال :
ـ ان الله أمرنى بالبيعة •

فقام عمر بن الخطاب .. ونادى : أيها الناس البيعة نزل بها روح القدس فاخرجوا على اسم الله .

فساروا الى محمد ﷺ وهو تحت شجرة طلح قد قام على رأسه عبد الله بن مغفل وفى يده غصن من الشجرة يذب عنه . وكان أول من بايع محمد ﷺ سنان بن أبى سنان الأسدى . فوضع يده على يد محمد وقال : أبايعك يا نبى الله على مـا فى نفسك .

فقال محمد ﷺ : وما فى نفسك ؟
قال سنان : أضرب بسيفك بين يديك حتى يظهرك الله أو أقتل .
وصار الناس يقولون له : نبايعك على ما بايعك عليه سنان .

وبايعهم محمد على ألا يفروا . وبايع عن عثمان بن عفان فوضع يده اليمنى على يده اليسرى . وقال : اللهم ان عثمان ذهب فى حاجة رسوله فأنا ابايع عنه .

ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها الا الجد بن قيس أخو بنى سلمة. فقد التصق بابط ناقته يستتر بها من الناس .

وراح أصحاب محمد ﷺ يتحدثون عن قتل العشرة الذين دخلوا مكة باذن محمد . وعندما جن الليل قام محمد بن مسلمة على حراسة محمد ﷺ .

وبعثت قريش خمسين رجلا فراحوا يطوفون بمعسكر محمد ﷺ فـأخذهم محمد بن مسلمة وأتى منهم اثنى عشر رجلا أسيرا . عند ذلك بعثت قريش الى محمد جمعا على رأسهم سـهيل بن عمرو . فلما رآه محمد .. قال : قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل .

فلما انتهى سهيل الى محمد ﷺ .. قال : حبس عثمان والعشرة الرجال .
فقال محمد ﷺ : سهيل أمركم ؟

قال سهيل : ان الذى كان من حبس أصحابك وما كان من قتال من قاتلك لم يكن من رأى ذوى رأينـا . بل كنا كارهين له حين بلغنا ولم نعلم به وكان من سفهائنا . فابعث الينا بأصحابنا الذين أسرت أولا وثانيا .

قال محمد ﷺ : انى غير مسلمهم حتى ترسلوا أصحابى •
قال سهيل : على رسلك •

فبعث سهيل الى قريش بذلك فبعثوا بمن كان عندهم وهم عثمان بن عفان والعشرة الرجال • وأسرع المسلمون الى عثمان يستقبلونه بالترحاب •• وقالوا له : طفت بالبيت ؟

قال عثمان فى عتاب : بئسما ظننتم بى • دعتنى قريش الى أن أطوف بالبيت فأبيت • والذى نفسى بيده لو مكثت بها معتمرا سنة ورسول الله ﷺ مقيم بالحديبية ما طفت حتى يطوف نبى الله عليه الصلاة والسلام •

أخذ سهيل يشيع ببصره جيش المسلمين العائد الى المدينة ••

ثم عاد الى ذكرياته ••

قال محمد ﷺ لسهيل بن عمرو ومكرز بن حفص وحويطب بن عبد العزى : تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف •

قال سهيل : والله لا تتحدث العرب بنا أنا أخذنا ضغطة •

وتم الصلح •• ولم يبق الا الكتاب • وثب عمر بن الخطاب الى أبى بكر •• فقال : يا أبا بكر أليس رسول الله ﷺ حقا ؟

قال أبو بكر : بلى ••
قال عمر : أولسنا بالمسلمين ؟
قال أبو بكر : بلى ••
قال عمر : أوليسوا بالمشركين ؟
قال أبو بكر : بلى ••
قال عمر : فعلام نعطيهم الدنية فى ديننا ؟

قال أبو بكر : يا عمر الزم •• انه رسول الله وليس نعصى رأبه فاستمسك بغرزه حتى تموت فوالله انه لعلى الحق •

قال محمد ﷺ : بلى ..
قال عمر : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟
قال محمد ﷺ : بلى ..
قال عمر : فلم نعطى الدنية فى ديننا اذن ؟
قال محمد ﷺ : انى عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعنى .
قال عمر : ألست تحدثنا أنا سنأتى البيت فنطوف به ؟
قال محمد ﷺ : بلى .. هل أخبرتك أنك تأتيه العام ؟
قال عمر : لا ..
قال محمد ﷺ : فانك آتيه ومطوف به .

ثم دعا محمد ﷺ على بن أبى طالب .. فقال : اكتب .. بسم الله الرحمن الرحيم .

فقال سهيل : لا أعرف هذا .. ولكن اكتب .. باسمك اللهم .
فكتب على .
ثم قال محمد ﷺ : هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو .

فقال سهيل : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب اسمك واسم أبيك .

فقال محمد ﷺ : والله انى لرسول الله ولو كذبتمونى .
ثم قال لعلى : امح رسول الله .
قال على : والله لا أمحوك أبداً .

وأخذ أسيد بن حضير وسعد بن عبادة بيد على ومنعاه أن يكتب الا محمد رسول الله والا فالسيف بين أصحاب محمد وقريش . وضج المسلمون وارتفعت الأصوات .. وجعلوا يقولون : لم نعطى هذه الدنية فى ديننا ؟

فرفع محمد ﷺ يديه .. مشيرا اليهم بالسكوت .. ثم قال لعلى : أرنيه .

فأراه اياه فمحاه محمد ﷺ بيده وقال : اكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو . اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض وعلى أنه من قدم مكة من أصحاب محمد حاجا أو معتمرا أو يبتغى من فضل الله فهو آمن على نفسه وماله . ومن قدم المدينة من قريش مجتازا الى مصر أو الشام يبتغى من فضل الله فهو آمن على

دمه وماله • وعلى أنه من أتى محمدا ﷺ من قريش بغير اذن وليه رده عليهم • ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم ترده عليه •

فاشتد ذلك على المسلمين •• وقالوا : سبحان الله ••! كيف نرد للمشركين من جاء مسلما ؟

وقال عمر بن الخطاب فى انفعال : يا رسول الله أتكتب هذا ؟ أترضى بهذا ؟

فتبسم محمد ﷺ •• وقال : من جاءنا منهم فرددناه اليهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا • ومن أعرض عنا وذهب اليهم فلسنا منه فى شىء وليس منا بل هو أولى بهم •

ثم قال لعلى : اكتب : وان بيننا عيبة مكفوفة • وانه لا اسلال ولا أغلال • وانه من أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه •

فتواثبت خزاعة فقالوا : نحن فى عقد محمد وعهده •

وتواثبت بنو بكر فقالوا : نحن فى عقد قريش وعهدهم • وانك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة وانه اذا كان عام قابل خرجنا عنها عامك فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثا معك سلاح الراكب • السيوف فى القرب • لا تدخلها بغيرها •

فبينما محمد ﷺ هو وسهيل بن عمرو يكتبان الكتاب اذ جاء أبوجندل بن سهيل ابن عمرو الى المسلمين يرسف فى الحديد متوشحا سيفه • انه كان قد أسلم وحبسه أبوه فلما سمع بأن المسلمين فى الحديبية فر من سجنه وجاء الى محمد ورمى بنفسه بين أظهر المسلمين • فخف اليه أخوه عبد الله بن سهيل بن عمرو من صفوف المسلمين وراح يحتضنه ويقبله • وهرع المسلمون اليه يرحبون به ويهنئونه • فلما رأى سهيل ابنه أبا جندل قام اليه وأخذ غصنا من شجرة به شوك وضرب به وجه أبى جندل ضربا شديدا حتى رق عليه المسلمون وبكوا •

وأخذ سهيل بتلابيب ابنه •• وقال : يا محمد هذا أول ما أقاضيك عليه أن ترده الى • لقد لجت القضية بينى وبينك قبل أن يأتيك هذا •

قال محمد ﷺ : لم نفض الكتاب بعد •

قال سهيل : بل لجت القضية بينى وبينك .
قال محمد ﷺ : صدقت .

فجعل سهيل بن عمرو يجر ابنه ليرده الى قريش وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أرد الى المشركين يفتنونى عن دينى .. ألا ترون ما لقيت ؟

فقال محمد ﷺ : يا أبا جندل اصبر واحتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا . انا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا وأعطيناهم ذلك وأعطونا عهد الله ألا نغدر بهم .

ثم قال محمد ﷺ : فأجره لى .
فقال سهيل : ما أنا مجير ذلك لك .

قال محمد ﷺ : بلى فافعل .

قال سهيل : ما أنا بفاعل .

فقال مكرز وحويطب : قد أجرناه لك . لا نعذبه .

وقال حويطب لمكرز : ما رأيت قوما قط أشد حبا لمن دخل معهم من أصحاب محمد .

قال مكرز : وأنا أرى ذلك .

وثب عمر بن الخطاب ومشى الى جنب أبى جندل وأبوه سهيل بجنبه يدفعه ... قال عمر : اصبر يا أبا جندل فانما هم المشركون وانما دم أحدهم كدم كلب .

ودخل أبو جندل مكة فى جوار حويطب ومكرز ... ثم عادا ليستأنفا كتابة الكتاب مع محمد .

همس حويطب فى أذن سهيل : بادأنا أخوالك بالعداوة وكانوا يستترون منا فدخلوا فى عهد محمد وعقده .

وفهم سهيل أنه يقصد خزاعة .. فقال في صوت خافت : ما هم الا كغيرهم. هؤلاء أقاربنا ولحمتنا قد دخلوا مع محمد . قوم اختاروا لأنفسهم أمرا فما نصنع بهم ؟

قال حويطب : نصنع بهم أن ننصر عليهم حلفاءنا بني بكر .

قال سهيل : اياك أن تسمع هذا منك بنو بكر فانهم أهل شؤم فيسبوا خزاعة فيغضب محمد لحلفائه فيفض العهد بيننا وبينه .

وفرغ محمد ﷺ من الصلح وأشهد عليه رجالا من المسلمين : أبا بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وأبا عبيدة ابن الجراح ومحمد بن مسلمة وعلى بن أبي طالب ورجالا من قريش : حويطبا ومكرزا .

قال سهيل بن عمرو : يكون هذا الكتاب عندى .

وقال محمد ﷺ : بل عندى .

فأخذه محمد ﷺ .. ثم كتب محمد بن مسلمة لسهيل نسخة أخذها عنده .

وكان جمل أبي الحكم بن هشام في الهدى في رأسه حلقة من ذهب . ففر من الحديبية ودخل مكة وانتهى الى دار أبي الحكم . وخرج في أثره عمرو بن غنمة الأنصاري فأبى سفهاء مكة أن يعطوه فأمرهم سهيل بن عمرو بدفعه .. وقال :

ـ ان تردوه فاعرضوا على محمد مائة من الابل فان قبلها فامسكوا هذا الجمل . والا فلا تتعرضوا له .

فعرضوا على محمد ﷺ ذلك فأبى .. وقال : لو لم يكن هذا الجمل للهدى لقبلت المائة .

ثم قال محمد ﷺ لأصحابه : قوموا فانحروا . ثم احلقوا .

فلم يقم منهم أحد .

فدخل محمد ﷺ على زوجته أم سلمة وهو شديد الغضب فاضطجع .. فقالت : مالك يا رسول الله ؟

قال محمد ﷺ : عجبـا يا أم سلمة ، ألا ترين الى الناس آمرهم بالأمر فلا يفعلونه ؟ قلت لهم : احلقـوا وانحروا وحلوا مرارا فلم يجبنى أحد من الناس الى ذلك وهم يسمعون كلامى وينظرون وجهى .

قالت أم سلمة : يا رسول الله لا تلمهم فانهم قد دخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة فى أمر الصلح ورجوعهم بغـير فتح . يا نبى الله اخرج ولا تكلم أحدا كلمة حتى تنحر بدنتك وتدعو حلاقك فيحلقك .

وأخذ محمد ﷺ الحربة وقصد هديه وأهوى بالحربة الى البدن .. رافعا صوته :

ــ باسم اللـه واللـه أكبر .

ثم دخل قبة له من أدم أحمر ودعا بخراش بن أمية بن الفضل الخزاعى محلق رأسه .

فلما رأى الناس ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما . وحلق رجال وقصر رجال وهم يقولون : لعلنا نطوف بالبيت .

قال محمد ﷺ : يرحم الله المحلقين .
قالوا : يا رسول الله والمقصرين ؟
قال محمد ﷺ : يرحم الله المحلقين .
قالوا : يا رسول الله والمقصرين ؟
قال محمد ﷺ : يرحم الله المحلقين .
قالوا : يا رسول الله والمقصرين ؟
قال محمد ﷺ : يرحم الله المقصرين .

قالوا : يا رسول الله فلم ظاهرت الترحم على المحلقين دون المقصرين ؟
قال محمد ﷺ : لأنهم لم يشكوا .

ولما رجع محمد ﷺ الى المدينة جاءه أبو بصير مسلما فأرسلت قريش فى طلبه رجلين .. فقالا : ان العهد الذى بيننا وبينك .

فدفعه الى الرجلين ، فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة فنزلوا يأكلون من تمر ... فقال أبو بصير لاحدهما : انى أرى سيفك هذا جيدا .

... : اجل . والله انه لجيد لقد جربت به ثم جربت .

فقال أبو بصير : أرنى أنظر اليه .

فأعطاه السيف ، فضربه ، وفر الرجل الآخر ، حتى بلغ المدينة ، فدخل المسجد .. فقال محمد ﷺ : لقد رأى هذا ذعرا .

قال الرجل . قتل والله صاحبي واني لمقتول .

فجاء ابو بصير .. فقال : يا نبى الله لقد أوفى الله ذمتك قد رددتني اليهم فأنجاني الله منهم .

فقال محمد ﷺ : ويل أمه مسعر حرب ، لو كان له أحد ؟

فلما سمع أبوبصير ذلك عرف أنه سيرد اليهم ، فخرج حتى أتى سيف البحر .

وهرب أبو جندل بن سهيل بن عمرو من مكة ولحق بأبى بصير ، ولم يخرج من قريش رجل قد أسلم الا لحق به حتى اجتمعت منهم عصبة ، لم تسمع بعير لقريش خرجت الى الشام الا اعترضت لها ، وقاتلتها وأخذت أموالها ، فأرسلت قريش الى محمد ﷺ تناشده الله الرحم .

ودار العام وظهر هلال ذى القعدة من السنة السابعة وهو الشهر الذى صد محمد ﷺ فيه سادات قريش عن البيت الحرام ، وعلم أشراف قريش أن محمدا قدم ومعه ألفان من أصحابه وقد حملوا السلاح ، ففزع سهيل بن عمرو وقال :

— ما أحدثنا حدثا وانا على كتابنا ومدتنا ففيم يغزونا محمد وأصحابه ؟

قال حويطب بن عبد العزى : لقد شرطنا ألا يدخلها علينا بسلاح الا سلاح المسافر ، السيوف فى القرب .

فطلب سهيل من حويطب ومكرز ونفر من قريش أن يذهبوا الى محمد ﷺ وقابل القوم المسلمين وهم يلبون : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك .

قال حويطب لمحمد ﷺ : والله يا محمد ما عرفت صغيرا ولا كبيرا بالغدر • تدخل بالسلاح فى الحرم على قومك وقد شرطت عليهم آلا تدخل الا بسلاح المسافر • السيوف فى القرب ؟

قال محمد ﷺ : انى لا أدخل عليهم بسلاح •

قال مكرز بن حفص : هو الذى تعرف به البر والوفاء •

ورجع القوم الى مكة • وخرج سادات قريش من مكة حتى لا يروا محمدا ﷺ يطوف بالبيت هو وأصحابه • ورأى سهيل المسلمين وهو على جبل أبى قبيس • كان محمد ﷺ راكبا جملا أحمر • فاستلم الركن بحجنه مضطجعا بثوبه وطاف على راحلته وأصحابه يطوفون معه وقد اضطبعوا بثيابهم • ثم كشف محمد عضده اليمنى ففعل أصحابه كذلك • وراحوا يسعون بين الصفا والمروة وهم يهرولون الأشواط الثلاثة •• فنظر حويطب بن عبد العزى اليهم فى عجب وقال : هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم ؟ انهم لينفرون نفر الظبى •

وبعد الطواف السابع • نحر محمد ﷺ عند المروة • وكذلك فعل المسلمين •

ثم عاد محمد ﷺ الى الكعبة ومعه أصحابه • فلم يزل بها حتى صعد بلال فوق ظهر الكعبة وراح يؤذن لصلاة الظهر • فرماه صفوان بن أمية بنظرة كالحجر وقال للحارث بن هشام : الا ترى هذا العبد أين صعد ؟

قال الحارث بن هشام : دعه فان يكن الله يكرهه فسيغيره •

وقال عكرمه بن عمرو بن هشام : لقد أكرم الله أبا الحكم حيث لم يسمع هذا العبد يقول ما يقول •

عاد صفوان يقول : الحمد لله الذى أذهب أبى قبل أن يرى هذا •

وقال خالد بن أسيد : الحمد لله الذى أذهب أبى ولم يشهد هذا اليوم حين بلال ينهق فوق الكعبة •

وغطى سهيل بن عمرو وجهه فقد كان يعجب أن يكون لهذا الكون ربا واحدا بينما أصنام الآلهة تكدست حول الكعبة وفى جوفها •

وخرج محمد ﷺ من الكعبه ، وأم أصحابه الذين اصطفوا خلفه ، وبعد أن انتهى من صلاته ذهب الى قبته التى نصبها بالأبطح ليستريح ،

وانقضت الأيام الثلاثه ، فأسرع سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ونفر من قريش الى محمد فوجدوه يتحدث مع سعد بن عبادة ،

صاح حويطب : ناشدتك الله والعقد الا خرجت من أرضـنا فقد مضت الثـلاث ،

فغضب سعد بن عبادة لمـا رأى من غلظ كلام سادة قريش لمحمد ﷺ ،

فقال لحـويطب : كذبت لا ام لك ليس بأرضـك ولا أرض آبائك ، والله لا يبرح منها الا طائعا راضيا ،

فتبسم محمد ﷺ وقال : يا سعد لا تؤذ قوما زارونا فى رحالنا ،

وأراد محمد ﷺ أن يبنى بميمونة بنت الحـارث فى مكة فقـال لحويطب وسهيل بن عمرو وسادة قريش : انى قد نكحت فيكم امرأة فما ضركم ان مكثت حتى أدخل بها وأصنع الطعام لنأكل وتأكلون معنا ؟

قال حويطب : لا حاجة لنـا فى طعامك ، اخرج من أرضنا هـذه الثلاثة قد مضت ،

وهم سعد بن عبادة أن يتكلم وتأهب حويطب أن يرد عليه ، فأشار محمد ﷺ بيديه فسكت الفريقان ، ثم أمر أبا رافع أن ينادى بالرحيل ، لا يمسى بها أحد من المسلمين ، وخلف أبا رافع ليأتى له بميمونة حين يمسى ،

وأخذ المسلمون يطوفون طواف الوداع ، ثم راحوا يتراجعون بظهورهم دون أن يولوا الكعبة أدبارهم ،

قال حويطب لسادة قريش : انظروا كيف يعظمون الكعبة ؟

وكان بين بنى بكر وخزاعة دماء ، فلما كان صـلح الحديبية بين محمد ﷺ وقريش كان فيما شرطوا لمحمد ﷺ : أنه من أحب أن يدخل فى عقد محمد ﷺ فليدخل

ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدها فليدخل فيه • وأصبح الخزاعيون آمنين لا يخشون غدراً • واذا بنوفل بن معاوية قائد بنى بكر يتقدم اليهم متسترا بالليل ومعه القرشيون متنكرين متنقبين فبيتوا خزاعة ليلا وهم غافلون فقتلوا منهم رجالا وارتفعت الأصوات فخف الخزاعيون الى سيوفهم وهم فى ذهول • واقتتل الفريقان فقتل من خزاعة عشرون وتقهقر الخزاعيون الى الحرم • فلما انتهوا اليه •• قالت بنو بكر : يا نوفل انا دخلنا الحرم • الهك الهك •

وكانت فرصة ليثأر نوفل من خزاعة • كيف يترك أعداءه وهم فى متناول السيوف ؟•• فقال دون تفكير : لا اله لى اليوم يا بنى بكر أصيبوا ثأركم فلعمرى انكم لتسرقون فى الحرم • أفلا تصيبون ثأركم فيه ؟

وسكتت السيوف • وراح شعراء كنانة يقولون : انهم حبسوا خزاعة فى دار الذئيل وألجأوهم الى دار العبد رافع بعد أن شفوا نفوسهم • وانطلق عمرو بن سالم الخزاعى راكباً الى المدينة • وأخبر محمدا ﷺ بما حدث • وأنهم نقضوا ما كان بينهم وبين محمد ﷺ مما استحلوا من خزاعة •

وذاع فى مكة أن صفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى وعكرمة بن أبى الحكم وشيبة بن عثمان وسهيل بن عمرو قد اشتركوا مع بنى بكر فى الغدر بخزاعة • فخشيت قريش أن يبلغ ذلك محمد ﷺ فمظاهرتهم لبنى بكر نقض صريح للعهد الذى كان بينهم وبين محمد ﷺ • وقد يهيج ذلك الحدث المسلمين ويحركهم للسير الى مكة • فندموا على ما فعلوا • وجاء الحارث بن هشام الى أبى سفيان ابن حرب وأخبره بما فل سادات قريش •• فقال : هذا أمر لم أشهده ولم أغب عنه وأنه لشر • والله ليغزونا محمد ﷺ • ولقد حدثتنى هند بنت عتبة أنها رأت رؤيا كرهتها • رأت دما أقبل من الحجون يسيل حتى وقف بالخندمة •

فكره القوم ذلك •• وقال سهيل بن عمرو لأبى سفيان : مالها سواك • اخرج الى محمد فكلمه فى تجديد العهد وزيادة المدة •

وذهب أبو سفيان ومولى له على راحلتين الى المدينة • وما دار بخلده أن عمرو بن سالم والذين معه من خزاعة قد خرجوا قبله • وأن محمدا ﷺ كان صبيحة الواقعة التى جرت بين بنى بكر وقريش وبين خزاعة فى بيت عائشة • فقال لها :

ــ حدث فى خزاعة حادث •

فقالت فى دهش : يا رسول الله أترى قريشا يجترئون على نقض العهد الذى بينك وبينهم ؟

قال محمد ﷺ : ينقضون العهد لأمر يريده الله .
قالت : خير .

وأن محمدا ﷺ بات عند زوجته ميمونة ليلة بعد ذلك فقام ليتوضأ . فسمعته يقول : لبيك لبيك لبيك نصرت نصرت نصرت .

فانطلقت اليه .. وقالت : كأنك تكلم انسانا . هل كان معك أحد ؟
قال محمد ﷺ : هذا راجز بنى كعب يزعم قريشا أعانت عليهم بكر بن وائل .
فأقاموا ثلاثا . ثم صلى محمد ﷺ الصبح . وقدم عمرو بن سالم وركب خزاعة على المدينة ومحمد ﷺ جالس فى المسجد بين ظهرانى الناس . وراح برجز . وبلغ صوت الراجز دور النبى فأعارته عائشة سمعها . ان محمدا ﷺ حزتها قبل أن يصل وفد خزاعة بأن قريشا قد فجرت فى عهدها . وها هو شاعرهم يفزع الى محمد يستنصره .

فقال محمد ﷺ : نصرت يا عمرو بن سالم .

ودمعت عينا محمد ﷺ . وقام وهو يجر رداءه .. ثم قال : لا ينصرنى الله ان لم أنصر بنىكعب مما أنصر به نفسى .

وأشرقت وجوه بنى خزاعة . وزاد سرورهم لما قال محمد ﷺ : خزاعة منى وأنا من خزاعة .

ولم يطل مكث وفد خزاعة فى المدينة . فلما عزموا على الرحيل .. قال لهم محمد ﷺ : ارجعوا وتفرقوا فى الأودية ليخفى محمد ﷺ مجيئهم له . فرجعوا وتفرقوا فذهبت فرقة الى الساحل وفيهم عمرو بن سالم وفرقة فيهم بديل بن ورقاء لزمت الطريق .

ودخل أبو سفيان بن حرب المدينة هو ومولاه فلم يخف أحد لاستقباله . ولم يلتفت أحد لدخوله فاستشعر قهرا ومرارة . فقد كان أشراف الأوس

والخزرج يهرعون اليه مهطعين والبشر يعلو الوجوه قبل أن يغزو محمد ﷺ أفئدة القوم بسحره المبين . فتحرك سخطه وراودته فكرة العودة الى مكة لولا أنه تذكر ابنته أم حبيبة زوجة محمد ﷺ فلمع له بصيص من رجاء فى ظلمات يأسه . ذهب اليها ولكنها لم ترحب به . وأراد أن يجلس على فراش محمد ﷺ فطوته عنه . فقال فى مرارة : يا بنيـة ما أدرى أرغبت بى عن هذا الفراش أم رغبت به عنى ؟

فقالت أم حبيبة : بل هو فراش النبى ﷺ . وأنت مشرك نجس .

وود أبو سفيان أن يلطم ابنته لطمة تنفس عن غضبه . ولكنه كبح جماح نفسه .. وقال : والله لقد أصابك بعدى شر .

فقالت فى ثقة : بل هدانى الله تعالى للاسـلام وأنت تعبد حجرا لا يسمع ولا يبصر . واعجبا منك يا أبت أنت سيد قريش وكبيرها ..!

فقال أبو سفيان : أنا أترك ما كان يعبد آبائى وأتبع دين محمد ؟

وخرج حانقا . وذهب الى المسجد . فاذا بمحمد ﷺ يحيط به أصحابه . مد أبو سفيان بصره الى خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن عفان . ثم غض الطرف .. وقال : انعموا صباحا .

قال محمد ﷺ : أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا أبا سفيان .. بالسلام تحية أهل الجنة .

قال أبو سفيان : انى كنت غائبا عن صلح الحديبية .. فأمدد العهد وزدنا فى المدة .

تساءل محمد ﷺ : لذلك جئت يا أبا سفيان ؟
قال أبو سفيان : نعم ..
قال محمد ﷺ : هل فيكم من حديث ؟

قال أبو سفيان : معاذ الله نحن على عهدنا وصلحنا لا نغير ولا نبدل وأنكر ما كان بين بنى بكر وبين خزاعة ومعـاونة قريش بنى بكر على خزاعة حلفـاء محمد ﷺ ..!

فقال محمد ﷺ : فنحن على مدتنا وصلحنا .

فأعاد أبو سفيان القول : امدد العهد وزدنا فى المدة .

فلم يرد عليه شيئا . فقام أبو سفيان مطرقا يجر أذيال الخيبة . وخرج من المسجد لا يكاد يرى شيئا فقد أعماه سخطه . وعادت فكرة العودة الى مكة تراوده . ولكنه أبى أن يعود بالاخفاق . فعزم على أن يأتى أصحاب محمد ﷺ وأن يلتمس منهم أن يكلموا محمد ﷺ فذهب الى العاليه حيث كان أبو بكر .

فلما دخل عليه قال : يا أبا بكر جدد العقد وزدنا فى المدة .

قال أبو بكر : جوارى فى جوار رسول الله ﷺ .

وحاول ابو سـفيان أن يثنى أبا بكر عن قراره وأن يزين له أن يكلم له محمدا ﷺ ولكن أبا بكر أبى أن يكلم محمدا ﷺ فى أمر صمت عنه . فخرج يجر رجايه كأنما قطعت له أثواب من الذل . وفى صوت خلفت لون بالأسى كلم عمر بن الخطاب . فقال عمر فى صوت حازم : أنا أشفع لكم الى رسول لله ﷺ ؟ فوالله لو لم أجد الا الذر لجاهدتكم به .

قال أبو سفيان : ان بيننا وبينكم حلفا .

قال عمر : ما كان من حلفنا جديدا أخلقه الله وما كان مقطوعا فلا وصله الله

فرمى أبو سفيان عمر بن الخطاب بنظرة قاسـية .. ثم قال : جزيت من ذى رحم شرا .

وراح أبو سفيان يدور فى طرقات يثرب وهو حاقد على نفسـه . لا أحد يلين قلبه لشيخ بنى أمية فيكلم محمدا ؟ . ووجد نفسه أمام دار عثمان بن عفان. فانسـل اليها مسرعا خشية أن تقع عليـه أعين الشامتين الداخلين الى المسجد والخارجين منه . قال أبو سفيان لعثمان : انه ليس فى القوم أقرب بى رحما منك فزد فى المدة وجدد العقد فان صاحبك لا يرده عليك أبدا .

قال عثمان معتذرا : جوارى فى جوار رسول الله ﷺ .

وسأل أبو سفيان وألف وتوسل وتودد ولكن عثمان بن عفان أبى أن يكلم محمد ﷺ . فقام أبو سفيان ووقف على باب عثمان يلتقط أنفاسه . حتى اذا

ما سكن سخطه وروعه • وفكر فى الذهاب الى على بن أبى طالب فان كان زوج أم كلثوم بنت محمد ﷺ قد رده خائبا فلعل زوج فاطمة تتحرك فيـه فروسيته فيكلم له ابن عمه فى تجديد العقد وزيادة المدة •

ودخل أبو سفيان على على بن أبى طالب وعنده فاطمة والحسن غلام يدب بين يديهما •• فقال : يا على انك أمس القوم رحما بى وانى قد جئت فى حاجة فلا أرجعن كما جئت خائبا • اشفع لى الى محمد •

فقال على : ويحك يا أبا سفيان • لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلمه •

فالتفت الى فاطمة •• وقال : يا ابنة محمد • هل لك أن تأمرى ابنك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب فى آخر الدهر ؟

قالت فاطمة : والله ما يبلغ ببنى أن يجير بين الناس وما يجير أحد على رسول الله ﷺ •

وتذكر أبو سفيان أن أختها زينب قد أجارت زوجها العاص بن الربيـع حينما وقع أسيرا فى بدر •• فطمع أبو سفيان أن تجيره فاطمة •• فقال لها : قد أجارت أختك زوجها وأجاز ذلك محمد •

قالت فاطمة : انما ذلك الى رسول الله ﷺ •

وأدرك أبو سفيان أنها لا تريد أن تجيره فى الناس حتى لا تغضب أباها • هذا بالحسين يدخل عليهم • فالتفت أبو سفيان الى الحسن والحسين •• وقال :

— فأمرى أحد ابنيك •

قالت فاطمة : انما هما صبيان ليس مثلهما ما يجير •

فقال أبو سفيان : فكلمى عليا • •

قالت فاطمة : فكلمه أنت •

قال أبو سفيان فى انكسار : يا أبا الحسن اشفع لى الى محمد وأجرنى •

فقال على : يا أبا سـفيان أنه ليس أحد من أصحاب رسول الله ﷺ يفتات على نبى الله ﷺ بجوار •

فقال أبو سفيان فى صوت أقرب للنحيب : يا أبا الحسن أرى الأمور قد أفسدت على فانصحنى .

قال على : والله لا أعلم لك شيئا يغنى عنك . ولكنك سيد بنى كنانة فقم وأجر بين الناس ثم الحق بأرضك .

قال أبو سفيان : أوترى ذلك مغنيا عنى شيئا ؟
قال على : والله ما أظنه ولكن لا أجد لك غير ذلك .
فدخل أبو سفيان المسجد فقام وقال : أيها الناس انى أجرت بين الناس .

ثم جاء محمد ﷺ .. فقال أبو سفيان : يا محمد انى أجرت بين الناس . لا والله ما أظن أحدا يخفرنى ويرد جوارى .

فقال محمد ﷺ : أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة ؟
وعاد أبو سفيان الى مكة مدحورا .

فحلق رأسه عند أساف ونائلة وذبح عندهما البدن ومسح رأسيهما بالدم ليدفع عنه التهمة . فلما رأته قريش قالوا : ما وراءك ؟ هل جئت بكتاب من محمد أو عهد ؟

قال أبو سفيان فى حزن : جئت محمدا فكلمته فوالله ما رد على شيئا . ثم جئت الى أبى بكر فلم أجد فيه خيرا . ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أعدى العدو . ثم جئت عليا فوجدته ألين القوم وقد أشار على بشىء صنعته . فوالله لا أدرى أيغنى عنى شيئا أم لا ؟

قال سهيل بن عمرو : وبم أمرك ؟
قال أبو سفيان : أمرنى أن أجير بين الناس . قال لى : لم تلتمس جوار الناس على محمد ﷺ ولا تجير أنت عليه وأنت سيد قريش وأكبرها وأحقها ألا يخفر جوارك ؟ ففعلت .
قال سهيل بن عمرو : فهل أجاز محمد لك ذلك ؟
قال أبو سفيان : لا وانما قال : أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة .. والله لم يزدنى .

وأحست قريش أن عليا قد سخر من أبى سفيان •• فقالوا : رضيت بغير رضا وجئت بمالا يغنى عنا ولا عنك شيئا • والله لقد لعب بك على •

قال أبو سفيان : والله ما وجدت غير ذلك •
غاب الجيش العائد الى المدينة عن بصر سهيل بن عمرو •

تذكر يوم أن علمت قريش بمسيرة محمد ﷺ وأصحابه •• فخرج أبوسفيان وحكيم بن حزام يتحسسان الأخبار • فرأى أبو سفيان عشرة آلاف نار كانت تتأجج فى جوف الليل •• فقال لحكيم فى قلق : ما رأيت كالليـلة نيرانا قط ولا عسكرا •• هذه كنيران عرفة •
قال حكيم : هذه والله خزاعة حمشتها الحرب •

قال أبو سفيان ولم يفق من دهشته : خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها •

وارتفع صوت فى سكون الليل ينادى : يا أبا حنظلة •
وعرف صوت نديمه العباس بن عبد المطلب •• فقال : مالك يا أبا الفضل فداك أبى وأمى •

قال العباس : والله هذا رسول الله ﷺ فى الناس قد جاءكم بما لا قبل لكم به ••

فقال أبو سفيان فى يأس : واصباح قريش والله فما الحيلة فداك أبى وأمى•

قال العباس : والله لئن ظفر بك نبى الله عليه الصـلاة والسلام ليضربن عنقك • فاركب فى عجز هذه البغلة حتى آتيك رسول الله فأستأمنه لك •

كان العباس بن عبد المطلب قد أسلم وأخفى اسلامه وبقى بمكة ليكون عينا لمحمد ﷺ يوافيه بأنباء قريش • فلما كان يوم بدر أمر محمد ﷺ أصحابه ألا يقتلوا العباس اذا وقع أسيرا فى أيديهم • لا لأنه عمه فما كان يفرق بين أهله وعامة الناس فى أمر الدين • بل ليحقن دم مسلم أخفى اسـلامه ولكيلا يقتل مسلم مسلما وهو لا يدرى • وأخذ محمد ﷺ من عمه الفداء حتى لا يكتشف أمره •

ركب أبو سفيان خلف العباس ٠

وكلما مرا بنار من نيران المسلمين ٠ قالوا : من هذا ؟

واذا رأوا بغلة محمد ﷺ والعباس عليها ٠٠ قالوا : عم رسول الله ﷺ على بغلته ٠

حتى مرا على عمر بن الخطاب وكان على الحرس ٠٠ فقال : من هذا ؟

وقام الى العباس فلما رأى أبا سفيان على عجز البغلة ٠٠ قال : أبو سفيان عدو الله ٠ الحمد لله الذى أمكن منك من غير عقد ولا عهد ٠

ثم راح يشده نحو محمد ﷺ فركضت البغلة وراح عمر يجرى خلفها ٠ وكان سباق بين عمر والعباس الى محمد ﷺ ٠ العباس يريد أن يستأمن لصديقه ونديمه وعمر يريد أن يأخذ منه الأمر بقتل أبى سفيان ٠

ودخل العباس على محمد ﷺ ٠ ودخل عمر فى أثره ٠٠ فقال لاهثا : هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه من غير عقد ولا عهد فدعنى لأضرب عنقه ٠

فقال العباس : يا رسول الله انى قد أجرته ٠

ثم جلس الى محمد ﷺ فأخذ برأسه ٠٠ وقال فى نفسه : « والله لا يناجيه الليلة أحد دونى » ٠

فعاد عمر يقول لمحمد ﷺ : دعنى لأضرب عنقه ٠

فقال العباس فى غضب : مهلا يا عمر فوالله لو كان من رجال بنى عدى بن كعب ما قلت مثل هذا ولكنك قد عرفت أنه من رجال بنى عبد مناف ٠

قال عمر :

— مهلا يا عباس فوالله لاسلامك يوم أن أسلمت كان أحب الى من اسلام الخطاب لو أسلم وما بى الا أنى قد عرفت أن اسلامك كان أحب الى رسول الله ﷺ من اسلام الخطاب لو أسلم ٠

فقال محمد ﷺ :

— اذهب يا عباس به الى رحلك فاذا أصبحت فائتنى به ٠

وذهب العباس بأبى سفيان الى رحله . فلم يعرف أبو سفيان النوم فى تلك الليـلة . كان خائفا يترقب . لا يدرى أيصغى محمد ﷺ الى شـفاعة عمه أم يستجيب لدعوة ابن الخطاب فيضرب عنقه ..!

وانطلق العباس بأبى سفيان الى محمد ﷺ .. فقال له :

ـ ويحك يا أبا سفيان . ألم يأن لك أن تعلم أنه لا اله الا الله ؟

قال أبو سفيان : بأبى أنت وأمى ما أحلمك وأكرمك وأوصلك . لقد ظننت أنه لو كان مع الله اله غيره لمـا أغنى عنى شيئا بعد .

قال محمد ﷺ : ويحك يا أبا سفيان . ألم يأن لك أن تعلم أننى رسول الله ؟

كيف يقر لمحمد بالرسـالة وتذهب زعامته ودولته وقـد حارب السنين فى فى سبيلها ؟

قال أبو سفيان : والله ان فى النفس منها شيئا .

كان أبو سفيان يطمع فى أن يرجىء محمد اعترافه بنبوته لمـا رأى حلمه وعفوه . فمن يدرى فقد تتبدل الأمور .. وتظل له السيادة على قومه ولا يذهب شرفه فيهم .

ورأى العباس الشرف عينى عمر فقال لصديقه ونديمه :

ـ ويحك .. أسلم وأشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنك .

ملأ الرعب قلب أبى سفيان وخشى أن تزهق روحه . انها أهم من كل شرف وزعامة . وابن الخطاب ليتحرق شوقا الى ضرب عنقه . فقال أبو سـفيان فى صوت ينز أسى :

ـ أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله .

وتجهز المسلمون للسير . فانتاب أبا سفيان قلق شديد فلا قبـل لقريش بهؤلاء الرجال . فذهب الى محمد ﷺ وقال : يا رسول الله ادع الناس بالأمان . أرأيت ان اعتزلت قريش فكفت أيديها آمنون هم ؟

قال محمد ﷺ :

نعم من كف يده وأغلق داره فهو آمن •
وكان العباس أعلم الناس بصديقه ونديمه •• فقال :

ـ يا رسول الله ان ابا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا •

قال محمد ﷺ : نعم : من دخل دار ابى سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن ألقى سلاحه فهو آمن •

راح أبو سفيان يقلب وجهه فى جيش المسلمين • وامتلأ دهشة من عظم ذلك الجيش الذى كونه محمد • فالتفت الى العباس وقال :

ـ والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيما •

قال العباس :

ـ يا ابا سفيان انها النبوة •

قال أبو سفيان : نعم اذن •

وكانت مع سعد بن عبادة راية محمد ﷺ • ولما مر بأبى سفيان وحاذاه قال :

ـ يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة • اليوم ستحل الحرمة • اليوم أذل الله قريشا •

فلما مر محمد ﷺ بأبى سفيان وحاذاه ناداه أبو سفيان :

ـ يا رسول الله أمرت بقتل قومك • فانه زعم سعد بن عبادة ومن معه حين مر بنا أنه قاتلنا فانه قال : اليوم يوم الملحمة • اليوم ستحل الحرمة • اليوم أذل الله قريشا • أنشدك الله فى قومك فأنت أبر الناس وأرحمهم وأوصلهم •

فقال عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف :
ـ يا رسول الله فانا لا نأمن من سعد بن عبادة أن يكون له فى قريش صولة•

فقال محمد ﷺ : كذب سعد بن عبادة • اليوم يوم الرحمة • اليوم أعز الله فيه قريشا •

وأرسل محمد ﷺ على بن أبى طالب الى سعد بن عبادة أن ينزع اللواء منه ويدفعه لابنه قيس • فأبى سعد أن يسلم اللواء الا بامارة من محمد ﷺ • فأرسل بعمامته فدفع اللواء لابنه قيس •

قال العباس لأبى سفيان : النجاة لقومك •

فامتطى أبو سفيان راحلته وانطلق يعدو حتى دخل مكة • فراح يصرح بأعلى صوته :

ـ يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن •

فقامت اليه زوجته هند بنت عتبه وقد أعماها الغضب • فقد كانت تعيش على أمل أن تثأر من محمد وصحبه لمقتل أبيها عتبة بن ربيعة وعمها شيبة وأخيها الوليد • أخذت بلحية أبى سفيان ونادت : يا آل غالب اقتلوا الحميث الدسم الأحمس • قبح من طليعة قوم •

وهرع الناس اليها فقالت :
ـ هلا قاتلتم ودفعتم عن أنفسكم وبلادكم •
فقال أبو سفيان لهند فى حدة :
ـ اسكتى وادخلى بيتك •
ثم التفت الى الناس وقال :

ـ ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم فانه جاءكم ما لا قبل لكم به فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن •

قالوا : قاتلك الله وما تغنى عنا دارك ؟

قال أبو سفيان : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن •

فتفرق الناس الى دورهم والى المسجد •

ودخل محمد ﷺ مكة وهو راكب على ناقته القصواء • حتى جاء البيت وطاف به سبعا على راحلته ومحمد بن مسلمة آخذ بزمامها • وكان على الكعبة

ثلاثمائه وستون صنما لكل حي من أحياء العرب صنم قد تسدت أقدامها بالرصاص• شجاء محمد ﷺ معه بقضيب مجعل يهـوى به الى كل صنم منها فيخر لوجه وهو يقـول :

ـ جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا •

وبقى هبـل فى جوف الكعبة وقد أرخى الليـل سدولة •• فقال محمد ﷺ لعلى بن أبى طالب :

ـ اصعد على منكبى واهدم الصنم •

قال على : يا رسول الله بل اصعد أنت فانى أكرمك أن أعلوك •

فقال محمد ﷺ : فاصعد أنت •

فاجلس محمدا ﷺ عليا على كاهله ثم نهض به • وتنحى محمد ﷺ • وراح على يرفع الصنم وألقاه على الأرض •

فالتفت الزبير بن العوام الى أبى سفيان وقال :

ـ قد كسر هبل • أما انك كنت يوم أحد فى غرور حين تزعم أنه قد أنعم ؟

قال أبو سفيان : دعنى ولا توبخنى لو كان مع اله محمد اله آخر لكان الأمر غير ذلك •

أتى أبو بكر بأبيه يقوده • فلما رآه محمد ﷺ قال :

ـ هلا تركت الشيخ فى بيته حتى أكون أنا آتيه فيه ؟

قال أبو بكر : يا رسول الله هو أحق أن يمشى اليك من أن تمشى اليه أنت •

فأجلسه بين يديه • ثم مسح صدره بيده •• ثم قال له : أسلم •

فقال الشيخ :

ـ أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله •

وقفت قريش فى ذهول • ماذا سيكون مصيرهم بعـد أن كذبوا وآذوا وأخرجوا محمدا ؟

ماذا هو فاعل بهم ؟ أهو النفى ؟ أم القتل ؟ لماذا لا يتكلم ويضع حدا لآلامهم وذلهم ؟ لقد أطلق السهم . لماذا يدفعه فى أغوار الجرح .. !

قال محمد ﷺ فى رفق :
ـ يا معشر قريش ماذا تقولون وماذا تظنون أنى فاعل فيكم ؟
تقدم سهيل بن عمرو .. وقال مجيبا :
ـ نظن خيرا . أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت .

قال محمد ﷺ : أقول كما قال أخى يوسف « لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين » اذهبوا فأنتم الطلقاء .

امتلأت العيون الذاهلة بعلامات الاستفهام الكبيرة . طلقاء ؟ أحقيقة قال محمد هذه الكلمة ؟ ما هذه السماحة ؟ رجل يملك القوة ويعفو .. !

واختبأ سهيل بن عمرو مع المختبئين ، أرسل الى ابنه عبد الله ليأخذ أمانا من محمد .

قال عبد الله بن سهيل : يا رسول الله أبى تؤمنه .

قال محمد ﷺ :
ـ نعم فهو آمن بالله فليظهر .

ثم قال محمد ﷺ لمن حوله : من لقى سهيل بن عمرو فلا يحد اليه النظر فلعمرى أن سهيلا له عقل وشرف وما مثل سهيل يجهل الاسلام .

فخرج ابنه عبد الله اليه وأخبره بمقالة محمد ﷺ .. فقال سهيل :
ـ كان والله برا صغيرا برا كبيرا .

وراح سهيل بن عمرو يقبل ويدبر دون أن يتعرض له أحد . وان لم يدخل الاسلام . فمقالة محمد الحميدة حببت فيه أعداء الأمس حتى الذين لم يؤمنوا بدينه . وشرحت صدور الذين فى قلوبهم مرض للاسلام وفاضت أعماق سهيل بمشاعر جديدة : فسرع الى محمد ﷺ . ومد يده مبايعا :

ـ أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله .
ومنذ ذلك اليوم تحول الى عابد زاهد مجاهد فى سبيل الله والاسلام .

ولما انتقل الرسول ﷺ الى الرفيق الأعلى وطار النبأ الى مكة . كان سهيل يومئذ مقيما فيها . فغشى المسلمين الهرج والذهول ما غشى المسلمين بالمدينة . واذا كان ذهول المدينة قد بدده أبو بكر بكلماته الحاسمة :

ـ أيها الناس .. من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت .
فقد وقف سهيل بن عمرو بجوار الكعبة .. وقال :

ـ أيها الناس .. قد كان محمد رسول الله حقا . بلغ الرسالة وأدى الأمانة وترك فينا ما ان تمسكنا به لن نضل بعده أبدا .. كتاب الله وسنته .. **« وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين »** .

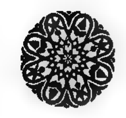
وعندما سمع عمر بن الخطاب ما قاله سهيل بن عمرو .. ضحك طويلا حتى امتلأت عيناه بالدمع .. فقد تذكر يوم بدر حينما طلب من الرسول عليه الصلاة والسلام أن يخلع ثنيتى سهيل بن عمرو .. حتى لا يقوم عليه خطيبا .. ولكن نبى الله قال له :

ـ دعها .. فلعلها تسرك يوما .

لقد صدقت نبوءة الصادق الأمين .. لقد درأت كلمات سهيل الفتنة التى كادت تقتلع بعض ايمان الناس بمكة حين بلغهم نبأ وفاة رسول الله ﷺ .

أذن المؤذن لصلاة العصر . ملأ الآذان سماء الشام . فنهض سهيل بن عمرو ليصلى لله شكرا لأنعمه .





الأمير الزاهد

أخذ سعيد بن عامر يقلب ثوبه فى وهج الشمس . يتعجل جفافه ؟ لماذا غسله اليوم .. بالذات ؟

عمر بن الخطاب فى طريقه الى حمص . ترى ما سر هذه الزيارة المفاجئة ؟ عزم أمير المؤمنين على الذهاب الى الكوفة وسائر البلاد ليستطلع أحوال المسلمين تقدم اليه أحد الحمصيين شكوى .. انهم ولعون بالتمرد .... !

سأل عمر بن الخطاب وفدا زاره من حمص عن واليهم عبد الله بن قرط .. فقالوا :

ـ خير أمير يا أمير المؤمنين .. لولا أنه بنى لنفسه دارا فارهة .

فهمهم عمر : دارا فارهة ؟ يتشامخ بها على الناس ؟ بخ بخ لابن قرط .

ثم أوفد رسولا الى عبد الله بن قرط .. وقال له : ابدأ بالدار فاحرق بابها .. ثم ائت به الى .

وسافر الرسول الى حمص وعاد بواليها فامتنع عمر عن لقائه ثلاثة أيام •• وفى اليوم الرابع استقبله فى الحرة حيث تعيش ابل الصدقة وأغنامها • وعندما أقبل عبد الله بن قرط أمره عمر أن يخلع حلته ويلبس مكانها لباس الرعاة •• وقال له : هذا خير مما كان يلبس أبوك •

ثم ناوله عصا •• وقال له :

ــ وهذه خير من العصا التى كان أبوك يهش بها على غنمه •

ثم يشير أمير المؤمنين بيده الى الابل •• وقال لابن قرط : اتبعها وارعها •

ثم بعد حين يستدعيه ويقول له معاتبا :

ــ هل أرسلتك يا عبد الله لتشيد وتبنى ؟ ارجع الى عملك ولا تعد لما فعلت أبدا •

تحسس سعيد ثوبه • مازال رطبا ؟ الى متى سيظل ينتظر جفافه ؟ لو كان لديه ثوب آخر •• ؟

جاء نفر من حمص الى أمير المؤمنين •• فقالوا له :

ــ ان معاوية بن أبى سفيان أصبح يركب دابة مطهمة • ويلبس ثوبا حريريا • ويأكل طعاما رافها • ويغلق بابه دون حوائج الناس •

ولم ينتظر عمر • فقد كان يتحقق بنفسه وعلى الفور من كل شكوى يشكوها انسان من حاكم ويتبع فى يقظة ســلوك ولاته فى كل الأمصــار •• فذهب الى حمص •• وعاد ومعه معاوية•• فقال له :

ــ لا أريد لولاتى أن يفقدوا وجاهتهم ولكن أريد لهم الوجاهة المشروعة التى لا بغى فيها ولا غرور • أريد لهم أن يتفوقوا على الناس بأناقة النفس لا بأناقة الثياب وبمحامد الأفعال لا بالمظاهر الكاذبة •• ليظلوا فى مكانهم الحق خداما للناس لا سادة لهم • أريد ولاتى على الناس رحمة ورخاء وأمنا وأمره عمر أن يخلع حلته الحريرية •• وعزله •

ثم قال أمير المؤمنين لأصحابه :

ــ دلونى على رجل أكل اليه أمرا يهمنى •

قالوا : فلان •
قال عمر : لا حاجة لنا فيه •
قالوا : فمن تريد ؟
قال عمر :

ــ اريد رجلا اذا كان فى القوم وليس أميرا لهم بدا وكأنه أميرهم • واذا كان فيهم وهو أميرهم بدا وكأنه واحد منهم •

قالوا : أتريد يا أمير المؤمنين أمراء فى أخلاقهم وتواضعهم وليس فى تبذخهم وعلوهم ؟ تريد أمراء لا يفسح الناس لهم الطريق ولا يتخطون الرقاب ••؟

قال عمر : نعم •• أريد أمراء يمشون على الأرض هونا ويعيشون قانعين•• أريد أمراء يشاركون الناس ولا يتميزون عليهم بغير العمل الصالح •• حينما كان رسول الله ﷺ يرانا نعمل عملا شاركنا وأخذ أكثر جوانب العمل مشقة •• فنقول له : نحن نكفيك ذلك يا نبى الله •• فيقول : انى أكره أن أتميز عليكم •• ويسمع بعضنا يقول له : أنت سيدنا وابن سيدنا •• فينهانا قائلا : لا يستغوينكم الشيطان • ويقدم علينا رسول الله ﷺ فنقف له •• فينهانا قائلا : لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا •

التقط سعيد بن عامر ثوبه • بعد قليل سيجف على جسده •
وأرسل اليه عمر بن الخطاب •• فقال له :

ــ يا سعيد •• أنت تعلم أن الشام حاضرة كبيرة والحياة فيها قبل دخول الاسلام بقرون تتقلب بين حضارات متنافرة وهى مركز تجارة هام ومرتع رحب للنعمة وهى بهذا دار اغراء •

قال سعيد بن عامر :
ــ أعلم هذا ولكن •• لماذا تخبرنى بذلك يا أمير المؤمنين ؟
قال عمر :
ــ لقد أرسلت اليك لكى أعرض عليك ولاية حمص •
قال سعيد فى عجب : أنا •• ؟ !
قال عمر : نعم •
قال سعيد : لا تفتنى يا أبا حفص •

قال عمر : والله لا أدعك يا ابن عامر •• أتضعون أمانتكم فى عنقى •• ثم تتركونى ؟ ألم يقل يوسف الصديق للملك •• « اجعلنى على خزائن الأرض انى حفيظ عليم » •

قال سعيد بن عامر :
ـ كان ابن يعقوب نبيا يا أمير المؤمنين ••
قال عمر :

ـ اذا انفض عن الحكم أمثال سعد بن عامر يحمل تبعات الحكم الثقال ؟ ان أول ما أتطلبه من ولاتى الزهد فى المنصب والفرار منه •• حتى اذا جاءهم كرها أخذوه مشفقين • بعد ذلك أختار القوى الأمين •• ولقد اخترتك يا سعيد •

قال سعيد : نعم •• اذن •

ثم أخذ عمر بيده وقال : انى لم أستعملك على دماء المسلمين ولا أعراضهم ولكنى استعملتك لتقيم الصلاة وتحكم فيهم بالعدل •

وخرج سعيد الى حمص مع زوجته • كانا عروسين جديدين بعد أن زودهما عمر بن الخطاب بقدر طيب من المـال •• ولمـا استقر بهما الحـال فى حمص أرادت زوجته أن تستعمل حقها كزوجة جميلة فى استثمار المـال الذى زودهما به أمير المؤمنين •• فأشارت على زوجها أن يشترى ما يلزمها من لباس لائق ومتاع وأثاث •• ثم يدخر الباقى •• فقال لها سعيد :

ـ ألا أدلك على خير من هذا ؟
قالت : ما هو ؟

قال سعيد : نحن فى بلاد تجارتها رابحة وسوقها رائجة • فلنعط هـذا المال الى من يتجر لنا فيه وينميه •

قالت : واذا خسرت تجارتنا ؟
قال سعيد :

ـ سأجعل ضمانها عليه •
قالت : كما ترى •

وخرج فاشترى بعض ضروريات عيشتهما المتقشفة ، ثم فرق جميع المــال على الفقراء والمحتاجين .

قالت زوجة سعيد :
ــ ألم ترتد ملابسك .. بعد ؟
طفت صورة عمر بن الخطاب فى ذهنه .. ماذا سيقول له ؟ :

ــ « ألم أقل لك يا سعيد ان حمص لا يصلح لها الا وال قديس تفر شياطين الاغراء امام عزوفه ؟ » .

ــ « يا أبا حفص انى .. » .

ــ « ليس هذا قولى وحدى .. بل قول الذين طلبت منهم أن يختاروا واليا لحمص ، أجمعوا الرأى على أن الزاهد العابد القانت الأواب .. هو أنت » .

ارتعش جسد سعيد حينما تذكر عمير بن سعيد .. فقد أرسله أمير المؤمنين واليا على حمص ، فمكث عاما لا يرسل خراجها ولا تصل منه أية أنباء .. فقال عمر بن الخطاب لكاتبه :

ــ اكتب الى عمير فانى أخاف أن يكون خائنا .

وأرسل اليه يستدعيه .. وذات يوم شهدت شوارع المدينة رجلا أشعث أغبر تغشاه وعثاء السفر ، يكاد يقتلع قدميه اقتلاعا من الأرض من طول ما لاقى من عناء ، على كتفه اليمنى جراب وقصعة ، وعلى كتفه اليسرى قربة صــغيرة فيها ماء .. ويتوكأ على عصــا لا يؤودها حمله الضــامر .. ودلف الى مجلس عمر بن الخطاب .. وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين .

ورد عمر السلام .. ثم سأله وقد آلمه ما رآه عليه من جهد واعياء :
ـ ما شأنك يا عمير ؟

ومعى الدنيا أجرها بقرنيها ؟
قال عمير : شأنى ما ترى .. ألست ترانى صحيح البدن ، وظاهر الندم ،

قال أمير المؤمنين : وما معك ؟

قال عمير :

ــ معى جرابى أحمل فيه زادى وقصعتى آكل فيها واداوتى أحمل فيـ
وشرابى وعصاى أتوكأ عليها وأجاهد بها عدوا ان عرض •• فوالله ما الد
لمتاعى •• !

قال عمر :

ــ أجئت ماشيا ؟
قال عمير : نعم •
قال عمر :

ــ أولم تجد من يتبرع لك بدابه تركبها ؟

قال عمير : انهم لم يفعلوا وانى لم أسالهم •

قال أمير المؤمنين :
ــ فماذا عملت فيما عهدنا اليك به ؟

قال عمير : أتيت البلد الذى بعثتنى اليه • فجمعت صلحاء أهله •
جبايةً فيئهم وأموالهم • حتى اذا جمعوها وضعتها فى موضعها • ولو بقى
شيء لأتيتك به •

قال عمر : فما جئتنا بشيء •• ؟
قال عمير : لا •

قال أمير المؤمنين :
ــ جددوا لعمير عهدا •

قال عمير : تلك أيام قد خلت • لا عملت لك ولا لأحد بعــدك •

ان سعادة عمر تكون عامرة حين تخيب شكوى وتظهر براءة • لأنه
يرى ولاته كلهم •• بل الناس جميعا متفوقين على الضعف مبرئين من الـ
ارتدى سعيد بن عامر ثوبه ••

ومرت أيام وبين الحين والحين نسأله زوجتــه عن تجارتهما وأيان بلغت الارباح ؟ ويجيبها أنها تجارة موفقة ، وأن الأرباح تنمو وتزيد ، وذات يوم ـ ألته أمام أحد أقاربه :

ـ كيف حال تجارتنا ؟

قال سعيد بن عامر : تجارتنا رابحة ربحا وفيرا ،

فابتسم قريبه ، فقد كان يعرف الحقيقة .. ثم ضحك ، فساور زجة سعيد القلق .. فقالت :

ـ أرجو أن تصارحنى الحديث ،

قال : لقد تصدق زوجك بالمــال جميعه ،

قالت زوجة سعيد :

ـ متى ؟

قال : منذ ذلك اليوم البعيد ،

نفض سعيد بن عامر التراب عن نعله ..

كان عمر بن الخطاب يعد نفسه مسئولا عن كل غلطة يرتكبها أحد من ولاته ، علم بها عمر أم لم يعلم ،

وكان يفكر ويستخير ربه ويستشير أصحابه ويستأنى ثم يستأنى قبل أن يختار عامله ومعاونه ، وكان يقول لأصحابه :

ـ أرأيتم اذا استعملت عليكم خير من أعلم ، ثم أمرته بالعدل .. أيبرىء ذلك ذمتى ؟

يقول أصحابه : نعم ،
فيقول أمير المؤمنين :
ـ أيما عامل لى ظلم أحدا وبلغنى مظلمته فلم أغيرها .. فأنا ظلمته ،
قال عمر بن الخطاب يوما لأحد ولاته :

ـ ان نصيحتى لك وأنت عندى جالس كنصيحتى لمن هو بأقصى ثغر من ثغور المسلمين • وذلك لمـا طوقنى الله من أمرهم • فان رسول الله ﷺ قال :
ـ (من مات غاشا لرعيته لم يرح رائحة الجنة) •

قالت زوجة سعيد :

ـ هيا يا ابن عامر •• لقد دخل أمير المؤمنين حمص فى موسم الحج • وعلى ملأ من الأعداد الهائلة من حجاج المسلمين القادمين من كل فج عميق ••

جمع عمر بن الخطاب ولاته فى كل الأمصار •• وقال :

ـ أيها الناس • انى والله لأبعث عمالى اليكم لا ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم •• ولكن أبعثهم اليكم ليعلموكم دينكم وسنة نبيكم • فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه الى • فوالذى نفسى بيده لأمكننه من القصاص •

فقال عمرو بن العـاص الذى رأى فى قول أمير المؤمنين خطرا على هيبة الولاة والحاكمين :

ـ أرأيت ان كان رجل من المسلمين واليا على رعية فأدب بعضهم •• أتقتص منـه ؟

قال عمر بن الخطاب :

ـ أى والذى نفسى بيده لأفعلن •• فقد رأيت نبى الله يقص من نفسه •• ويقول : من كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهرى فليقتد منه •

غادر سعيد بن عامر داره •• رأى جمعا غفيرا • كيف طار اليهم نبأ مقدم أمير المؤمنين ؟.ماذا سيقولون لابن الخطاب ؟ قال لسعيد يوما :

ـ لماذا رفضت ولاية حمص عندما عرضتها عليك ؟
قال سعيد بن عامر :
ـ يا أمير المؤمنين •• تذكرت يوم أن جاء عمير بن سعيد الى المدينة و ••
قال عمر : ان أهل الشام يحبونك •
قال سعيد : لأننى أعاونهم وأواسيهم •
ارتفع صوت عمر بن الخطاب من بين الحشد الغفير :

الى يا سعيد •• هذه زمرة شاكيه •
قال سعيد :
ــ فلتعدد نقاط شكواها واحدة •• واحدة •
نهض المتحدث بلسان هذه الزمرة •• فقال :
ــ نشكو من سعيد بن عامر أربعا •
قال سعيد : ما هى ؟
قال المتحدث بلسان الزمرة الشاكية :
ــ أولها : أنه لا يخرج الينا حتى يتعالى النهار •

همس عمر بن الخطاب :

ــ اللهم انى أعرف ابن عامر من خير عبادك •• اللهم لا تخيب فراستى •
قال المتحدث : لماذا لا ترد على شكوانا يا ابن عامر ؟

قال سعيد :

ــ والله يا أمير المؤمنين ان كنت لأكره ذكر السبب •• ليس لأهلى خادم فأنا أعجن معهم عجينى ثم أجلس حتى يختمر • ثم أخبز خبزى •• ثم أتوضأ وأخرج اليهم •

أشرقت أسارير عمر •• فقال :
ــ والثانية •• ؟
قال المتحدث : ثانيهما : أنه لا يجيب أحدا بليل •• يا أمير المؤمنين •
قال سعيد :

ــ والله ان كنت لأكره ذكره • انى جعلت النهار لهم •• وجعلت الليل لله عز وجل •

تهلل وجه عمر •• وقال .
ــ وماذا أيضا ؟
قال المتحدث : ثالثها : ان له فى الشهر يوما لا يقابل فيه أحدا •
قال سعيد بن عامر :

ــ ليس لى خادم يغسل ثيابى •• ففى هذا اليوم أغسلها •• وأنتظرها حتى تجف • ثم أخرج اليهم •

قال أمير المؤمنين : وماذا أيضا تشكون منه .. ؟

قال المتحدث : رابعها : يا أمير المؤمنين . ان الغاشية تأخذ سعيد بن عامر بين الحين والحين .

قال سعيد : لقد شهدت مصرع خبيب بن عدى الأنصارى بمكة . وقد بضعت قريش لحمه وحملوه على جذعه .. وأبو سفيان يقول له : أتحب محمدا مكانك وأنت سليم معاف ؟ فيجيب خبيب : والله ما أحب أنى فى أهلى وولدى ومعى عافية الدنيا ونعيمها ويصاب رسول الله ﷺ بشوكة . فمنذ ذلك المشهد الذى رأيته وأنا يومئذ من المشركين .. ثم تذكرت تركى نصرة خبيب يومها .. أرتجف خوفا من عذاب الله ويغشانى الذى يغشانى .

أطرق المتحدث بلسان الزمرة الشاكية وتطاول عنق عمر بن الخطاب . لماذا سكت الحشد الغفير ؟ أعجبهم رد سعيد بن عامر ؟ اقتنعوا بقوله ؟

عانق أمير المؤمنين سعيد بن عامر .. وقال فى حبور وبشر :
ــ الحمد لله الذى لم يخيب فراستى .




خبيب بن عدى

الشهيد الذى أطعمه الله

وضعوه فوق بعير مقيد اليدين ، وأحاطوا به ..
ترك خبيب بن عدى مكة وراءه ، وعاد بخياله الى المدينة ...

قدم على رسول الله ﷺ بعد غزوة أحد رهط من عضل والقارة .. فقالوا : يا رسول الله ان فينا اسلاما فابعث نفرا من أصحابك يفقهوننا فى الدين ويقرئوننا القرآن ويعلموننا شرائع الاسلام .

قال النبى عليه الصلاة والسلام :

ــ أين مرثد بن أبى مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت وخبيب بن عدى وزيد بن الدثنة وعبد الله بن طارق ؟

قالوا : لبيك يا رسول الله ..
قال رسول الله ﷺ :

ــ انى أمرت عليكم مرثد بن أبى مرثد ، فاذهبوا مع القوم وعلموهم شرائع الاسلام وفقهوهم فى الدين .

وخرجوا مع القوم حتى اذا بلغوا بئر الرجيع على مقربة من هذيل استصرخ القوم عليهم هذيلا .

قال عاصم بن ثابت : انى أشم رائحة الغدر فى عيون القوم .

قال مرثد بن أبى مرثد :
ـ لو فعلت هذيل .. فليس أمامنا الا صعود هذا الجبل .

وأقبلت هذيل وهم فى رحالهم . فأسرعوا الى الجبل وبأيديهم السيوف .

قال عبد الله بن طارق :
ـ لقد أحاطوا بنا عند سفح الجبل وأحكموا حولنا الحصار .

قال خبيب بن عدى :
ـ ان الرماة يقتربون من المائة .

وجاءهم صوت يدعوهم الى تسليم أنفسهم . فنظر الرجال الخمسة الى امرهم مرثد بن أبى مرثد .

فقال : ملاقاة ربى خير من تسليم نفسى الى ثلة الغدر .

وعاد الصوت من سفح الجبل :
ـ اننا نعطيكم موثقا ألا ينالكم منا سوء .

وحطت العيون على وجه مرثد بن أبى مرثد تنتظر رده ... فقال :
ـ أما أنا فوالله لا أنزل فى ذمة مشرك .. اللهم أخبر عنا نبيك .

وشرع الرماة يرمونهم بالنبال فأصيب أميرهم مرثد بن أبى مرثد واستشهد خالد بن البكير وعاصم بن ثابت بن أبى الأفلح .

قال القوم لخبيب بن عدى وزيد بن الدثنة وعبد الله بن طارق :
ـ ان لكم العهد والميثاق اذا أنتم نزلتم .
قال زيد بن الدثنة لعبد الله بن طارق : ما رأيك ؟

قال عبد الله :
ـ انى أرغب فى الحياة .

قالت هذيل : انا والله لا نريد قتلكم ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئا من أهل مكة . ولكم عهد الله وميثاقه ألا نقتلكم .

ارتجف قلب خبيب بن عدى ساعتها ، واستولى عليه خوف شديد ، سيباع فى مكة ويصبح رقيقا ؟ بعد أن كان سيدا مطاعا ؟ ماذا يفعل لو اشتراه أحد أبناء الحارث بن عامر بن نوفل ؟ لا بد أنهم قد علموا أن خبيب بن عدى قتل أباهم ، وانهم يريدون ثأرهم ؟

ولان زيد بن الدثنة وعبد الله بن طارق ، ورق خبيب ، رغبوا فى الحياة ، فأعطوا القوم بأيديهم ، فأسروهم ، ثم خرجوا بهم الى مكة ليبيعوهم ، وفى الطريق انتزع عبد الله بن طارق يده من وثاقه وأخذ سيفه ، فقد قرر أن يموت حيث مات مرثد وعاصم وخالد ، فاستأخر عنه القوم ورموه بالحجارة ومات ، وحاول خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة أن يخلصا وثاقهما ولكنهما لم يوفقا فقد كان الوثاق شديد الاحكام ، وقدم بهما الرجال الى مكة ، فلما دنوا من الكعبة التف رجال قريش حولهم ،

تساءل عمرو بن العاص : ممن القوم ؟

قال الرجال : من عضل والقارة وقد جئناكم بأسيرين من أتباع محمد ،

قال أبو سفيان بن حرب : أين وجدتموهما ؟

قال الرجال : عند محمد .. قدمنا عليه فقلنا له : ان فينا اسلاما فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا فى الدين ، فبعث معنا نفرا من أصحابه حتى كنا على الرجيع غدرنا بهم ولم يرعهم وهم فى رحالهم الا نحن بأيدينا السيوف قد غلبناهم فأخذوا بأسيافهم ليقاتلونا فقلنا لهم : انا والله ما نريد قتلكم ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئا من أهل مكة فلم يقبل ثلاثة منهم فقاتلونا فقاتلناهم ولحق بهم رابع ونحن فى بعض الطريق أراد أن يستل سيفه فاستأخرنا عنـه ورميناه بالحجارة حتى قتلناه ، وبقى هذان .. خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة ، نريد أن نبيعهما لمن له ثأر من أهل مكة .. فمن يشترى الأسيرين ؟ لنفـدى أسيرين من هذيل كانا بمكة ؟

قال أبو سفيان : مرحى .. مرحى ،

قال حجير بن أبى اهاب : أنا أشترى خبيب بن عدى لأقدمه لأخى (من أمه) عقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل ليقتله بأبيه ،

قال صفوان بن أمية : أنا أبتاع زيد بن الدثنة لأقتله بأبى أمية بن خلف .

قال عقبة بن الحارث لأخيه حجير : يا أخى أرجو أن تدع خبيب الانصارى حيا حتى أتمتع برؤيته ذليلا ناكس الرأس قبل أن يصلب .

قال حجير : سأحبسه عند مولاتى ماوية حتى تنقضى الأشهر الحرم .. ثم نقدمه اليك حيا لتصلبه .

وأوثق يديه وقدميه بالحديد .

نظر خبيب بن عدى الى عمرو بن العاص وأبى سفيان بن حرب وعقبة بن الحارث وسعيد بن عامر وحجير بن أبى اهاب وبقيــة الرجال الذين يحيطون ببعيره .. ثم عاد الى ذكرياته ...

راح خبيب يصلى فى محبسه وماويه تنظر اليه فى عجب . وبعد أن انتهى من صلاته سألته : ماذا تفعل ؟

قال خبيب : اننى أصلى .

قالت ماوية : أين الصنم الذى تسجد له ؟

قال خبيب : انى أسجد لله .

قالت ماوية : الله ..؟

قال خبيب : نعم .. أتسجدون لصنم وتذرون أحسن الخالقين ؟

تساءلت ماوية : من أحسن الخالقين ؟ هبل أم اللات ؟

قال خبيب . الله .. ربكم ورب آبائكم الأولين .

قالت ماوية : اله واحد ؟ اننا نعبد هبل والعزى واللات .

قال خبيب : ما هى الا أحجار لا تضر ولا تنفع .. نحتتها أيديكم .

ووقفت ماوية شاردة .. تفكر باسرة الوجه حينا ويشرق وجهها أحيانا .

وذات يوم .. قالت بأعلى صوتها : يا معشر قريش .. يا معشر قريش .. تعالوا وأبصروا عجبا .

فأقبل أبو سفيان بن حرب وسعيد بن عامر ومعاوية بن أبى سفيان وبعض رجال قريش •• قالوا : ما وراءك يا ماوية ؟

قالت ماوية : واللات لقد رأيت خبيب بن عدى يأكل قطفا من العنب مثل رأس الجمل •

قال أبو سفيان : ما نعلم فى أرض الله عنبا يؤكل الآن •
قال سعيد بن عامر : ما بمكة كلها ثمرة عنب واحدة •
قالت ماوية : ألم تصدقوا ••؟ تعالوا لكى تبصروا •

وقف رجال قريش ينظـرون الى قطف العنب المـدلى من سقف المحبس فى عجب ••

قال أبو سفيان : من أين لك هذا يا خبيب ؟

قال خبيب :انه رزق أتانى من عند الله • كما أتى مثله من قبل مريم بنت عمران « **كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا • قال يا مريم أنى لك هذا • قالت هو من عند الله • ان الله يرزق من يشاء بغير حساب** » •

قال أبو سفيان : هل علمك محمد السحر ؟
قال خبيب : بل دلنى رسول الله ﷺ الى النور •
قال أبو سفيان : لو كفرت بمحمد وربه •• سنطلق سراحك •

قال خبيب بن عدى : لقد حمدت الله أن شرح صدرى للاسلام • كيف أعود الى الكفر والضلالة ؟

قال أبو سفيان : أتريد الحياة ؟
قال خبيب : « **انما هذه الحياة الدنيا متاع وأن الآخرة هى القرار** » •
قال أبو سفيان بن حرب : انى أدعوك الى النجاة •
قال خبيب : بل تدعوننى الى النار •
قال أبو سفيان : هل تصدق أن هناك جنة ونارا وبعثا ؟
قال خبيب : « **أحسبتم انما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون** » •
قال أبو سفيان : كيف ؟ ومن سيحاسب العباد ؟

قال خبيب : « **الله سريع الحساب ولا يظلم ربك أحداً** » • « **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره • ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره** » •

قال أبو سفيان : عد الى رشدك •• فان قيدك ثقيل وأسرك أشد وطأة على النفس •

قال خبيب : « **انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** » •

قال أبو سفيان . سوف ترسل الى التنعيم •• لتصلب فقد أوشكت الأشهر الحرم على الانتهاء •

قال خبيب : « **أفوض امرى الى الله ان الله بصير بالعباد** » •

وكانت ماوية تنظر الى خبيب وهو يصلى • كان من أوس المدينة وأنصارها • تردد على رسول الله ﷺ بعد أن هاجر اليهم وأصبحت سعادته مستمدة من القرب منه والنظر اليه والقاء السمع الى الحكمة التى تتدفق من بين شفتيه • فتألق نور العقل وامتلأت النفس طمأنينة واقتناعا وتحررت الذات من كل القيود وهامت فى عالم الملكوت •• ونطق لسان وقلب خبيب بن عدى بشهادة الحق • وأصبح عابدا ناسكا يقوم الليل ويصوم النهار •

قال خبيب لماوية : ابعثى لى بحديدة (موسى) أتطهر بها للقتل •
وقفت ماوية ولم تتحرك •

قال خبيب : أتخشين أن ترسلى الى الحديدة مع أحد فأقتله •• فتكون نفساً بنفس ؟
قالت ماوية : نعم •
قال خبيب : والذى نفسى بيده •• لن أفعل •

أرسلت ماوية مع غلام من الحى الموسى فأخذها خبيب •• ثم خلى سبيل الغلام •

قالت ماوية : نعم الرجل خبيب بن عدى •
اقترب البعير من التنعيم •• واصل خبيب رحلة ذكرياته ••

منذ أيام أقبلت ماوية •• وقالت : لقد قدم عقبة بن الحارث من سفره •• ويبدو أن الأشهر الحرم قد ••

قال خبيب : انى فى شوق لملاقاة ربى •
قالت ماوية فى عجب : الى هذا الحد أنت مشتاق للموت ؟
قال خبيب : بل مشتاق للقاء ربى • والحياة فى جنه الخلد •
تساءلت ماوية : ماذا أفعل اذا أردت أن أدخل فى هذا الدين ؟

قال خبيب فى فرح : تؤمنـين بالله وحده وتؤمنين بمحمد عبـده ورسوله وتخلعين عبادة الأوثان التى لا تنفع ولا تضر ولا تسمع ولا تبصر •

بسطت ماوية كفيها ورفعت عينيها الى السماء •• وقالت فى انفعال : أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله •

فلما سمع خبيب بن عدى ماوية تنطق بشهادة الحق انطلقت أغاريد نفسه ونسى الموت الذى ينتظره ••

وأقبل عقبة بن الحارث وأبو سفيان بن حرب وسعيد بن عامر وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبى سفيان ونفر من قريش ومعهم بعير •

وقالوا : يا خبيب •• لقد قتل صاحبك زيد بن الدثنة •
قال خبيب فى حزن : لقد سبقنى الى الجنة •
قال عمرو بن العاص : أتحسد صاحبك لأنه سبقك الى الموت ؟
قال خبيب بن عدى : بل كنت أتمنى أن أسبقه لملاقاة ربى •
وخرجوا بخبيب مقيد اليدين فوق بعير الى التنعيم ••

رأى خبيب صاحبه زيد بن الدثنة • نظر اليـه فى فرح وعجب • ما زال حيا ؟ لمـاذا كذب رجال قريش وزعموا أنه قتـل ؟ أرادوا أن يلقوا الرعب فى قلبه قبل أن يقتلوه ؟

عانق خبيب بن عدى زيد بن الدثنة عناقا طويلا • وهمس فى أذنه : لا تحزن سنلتقى فى الفردوس •

قال زيد . « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون » .

قال صفوان بن أمية وهو يشير نحو فتاه نسطاس : اقتل زيد بن الدثنة .

فأخذ نسطاس سيفا . ثم اقترب من زيد وقال : خذها .. اذن .

وأراد رجال قريش صلب خبيب بن عدى الأنصارى .. فقال : ان رأيتم أن تدعونى حتى أركع ركعتين فافعلوا .

قال أبو سفيان بن حرب : دونك فاركع .

وقام خبيب فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما . ثم أقبل على رجال قريش .. فقال : أما والله لولا أن تظنوا أنى انما طولت جزعا من القتل لاستكثرت من الصلاة .

قال حجير بن اهاب : ارفعوه على جذع النخلة وأوثقوه .

فرفعوه الى جذع النخلة وأوثقوه .

قال أبو ميسرة : اعطنى رمحا لأطعنه حتى يموت .

قال عقبة بن الحارث : خذ .

رفع خبيب بن عدى وجهه الى السماء .. وقال : اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تغادر منهم أحدا . اللهم انا بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يصنع بنا .

وقف رجال قريش واجمين وكأن على رءوسهم الطير .

قال عمرو بن العاص : مالكم وجمتم؟ اضطجعوا لجنوبكم حتى تزول عنكم دعوة هذا الصابىء .

اقترب أبو سفيان بن حرب من خبيب وقال : أنشدك الله يا خبيب .. أتحب أن محمدا مكانك الآن تضرب عنقه وأنت سليم معافى فى أهلك ؟

قال خبيب : والله ما أحب أنى فى أهلى وولدى ، ومعى عافيــة الدنيــا ونعيمها ويصاب رسول الله ﷺ بشوكة •

ضرب أبو سفيان كفا بكف •• وقال لمن حوله فى عجب : ما رأيت أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا •

ارتفعت الأصوات : اطعن أبا ميسرة •• اطعن أبا ميسرة •

تدفق الدم من صــدر خبيب بن عدى •• ولكن عينيه وشــفتيه ارتبطت بالسماء ••



عياش بن أبى ربيعة

الشهيد الظامىء

قـــدم رسول أبى بكر كتابا الى خالد بن الوليد .

قال القعقاع بن عمرو : ماذا كتب خليفة رسول الله يا أبا سليمان ؟

قال خالد : يطلب منا أن نأتى جمع المسلمين فى اليرموك .

راح عياش بن أبى ربيعة وهشام بن الحارث وعياض بن غنم وهاشم بن عتبة وسهيل بن عمرو والقعقاع بن عمرو يحثون الجنود فى السير الى اليرموك . كانوا جميعا فى شوق لقتال الروم وشرد عياش بن أبى ربيعة وتذكر ذلك اليوم الذى أخـذ فيـه أهل مكة يتحدثون عن نبأ الوحى الذى نزل من السماء على محمد بن عبـد الله . وكيف أثار ذلك غضب طالبى العظمة والسـيادة ومحبى الزعامة من أشراف دار الندوة . وكأن رجال بنى أمية ونساؤهم ورجال بنى مخزوم ونساؤهم أكثر الناس عداوة لمحمد والدين الجديد . كانو يرون فى دعوته توطيداً لسلطان بنى هاشم فى الحرم وجعل السلطة فى أيديهم الى الأبد . وراح عياش يتحسس أخبار من آمن بمحمد .. فذهب الى أبى بكر وقال له : ما النبى ؟

قال أبو بكر : هو الذى يوحى اليه من السماء فينبىء به أهل الأرض .

قال عياش : أيكلم الله بشرا ؟

قال أبو بكر : لقد كلم الله رسوله ونبيه موسى من قبل تكليما .

ثم قابل عياش زيد بن حارثة وسأله : ما الاسلام ؟

قال زيد : أن تسلم لله قلبك وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك .

والتقى عياش بعثمان بن عفان فقال له :

ــ أى الاسلام أفضل ؟

قال عثمان : الايمان .

قال عياش : وما الايمان ؟

قال عثمان : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره .

وعاد عياش الى زوجته أسماء بنت سلامة بن مخرمة وعيناه تقولان شيئا فقالت زوجته :

ـ ما وراءك ؟

قال عياش : تجول بخاطرى أشياء أوشك أن أقولها •• وأرضى الله •

قالت أسماء : ماذا قلت ؟ الله ••؟ هل قابلت محمدا أو أحدا من أتباعه ؟

قال عياش :

ـ نعم •• قابلت أبا بكر وزيد بن حارثة وعثمان بن عفـان •• وأصبحت على يقين مما كنت فى شك منه •

قالت أسماء :

ـ لقد سمعت حديثا عجبا من أم الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب •

قال عياش : لقد آمنت بمحمد بعد خديجة بنت خويلد •

قالت أسماء :

ـ لقد رتلت آيات من قرآن محمد •• ارتجف له قلبى وسما بوجدانى وارتاح له ضميرى •

قال عياش :

ـ وماذا ترين يا بنت سلامة ؟

قالت أسماء : الرأى رأيك •

قال عياش : أرى القائل لا يكتفى بأن يقول بل يقرن القول بالفعل •• هيا الى رسول الله فما أشوقنى الى لقائه •

قالت أسماء : شوقك بعض ما عندى •

خرجا من دارهما يبحثان عن رسول الله فوجداه يصلى مع على بن أبى طالب فى شعب أبيه •• وانتظرا حتى انتهى من صـلاته •• وجلسـا بين يديه ونطقا بالشهادتين • وأخذ عياش لا يفارق رسول الله فى شعاب مكة أو فى دور أصحابه •• ثم صارت دار الأرقم بن أبى الأرقم مقرا لرسول الله ومن تبعه • وذات يوم جاءت أسماء بنت مخربة بن جندل الى ابنها عياش وقالت :

ـ بلغنى أنك صبأت واتبعت محمدا •

قال عياش : بل نبذت عبادة الأوثان وآمنت بالله الواحد القهار •

قالت أمه : الم تعلم ما ينزله أبنـــاء مخزوم بمن تبـــع محمداً من اضطهاد وتعذيب ؟ فما بالك ما سينزلونه بمن صبأ منهم •• ؟

قال عياس : فى سبيل الله ما نلقى •
قالت أمه : عد الى دين آبائك واهجر ما جاء به محمد ليفرق بين الأم وابنها والمرء وزوجه والصاحب وصاحبه •

قال عياش : قد جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير الدنيا وهناءة الآخرة •

قالت أمه : اتردد ما يقوله محمد عن البعث والحساب ؟
قال عياش لقد قال الله تعالى :
« وان ليس للانسان الا ما سعى • وان ســـعيه سوف يرى • ثم يجــزاه الجزاء الأوفى • وان الى ربك المنتهى » •

قالت أمه :
ـــ الم ينه دينك عن عقوق الوالدين ؟
قال عياش لقد قال الله تعالى :

« وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع ســبيل من أناب الى ثم الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون » •

صرخت أمه فى وجهه : كف عن قراءة شعر محمد والا دعوت أحابيش أبيك وأمرتهم بتعذيبك عذابا لم يعذبه أحد من قبل •

قال عياش : لم لا تتبعى رسول الله وتخلعى من عنقك عبادة الأصنام التى لا تضر ولا تنفع ؟

قالت أمه غاضبة :
ـــ لقد حذرتك وأنذرتك •
قال عياش يقول الله تعالى :
« بسم الله الرحمن الرحيم • ألم • تلك آيات الكتاب الحكيم • هدى ورحمة للمحسنين • الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون • أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون • ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين » •

وضعت أمه أصبعيها فى أذنيها وتوقفت عن السير فى الحجرة وصرخت :
ـ قلت لك كف . واللات سأخلى بينك وبين قومك ليقتلوك وان بنى مخزوم لن يمنعوك كما منعت بنو هاشم محمد بن عبد الله بعد أن جلبت لنا العار والهوان المبين .

واندلعت نار ثورة بنى مخزوم على من اتبع محمدا وأخذ أبو جهل يؤنب أخاه عياشا أشد تأنيب ويهدده بعذاب الهون . وهو صابر ثابت الجنان مطمئن البال .. وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالهجرة الى الحبشة .. ولحق عياش وزوجته بمن هاجروا من قبلهما وهناك فى دار الغربة ولدت له ابنه عبد الله. ثم عاد عياش وزوجته وعبد الله الى مكة لعله يجد مستقرا بعد طول غياب ولكن سادة قريش قد ازدادوا اضطهاداً وعداوة وبطشا للنبى عليه الصلاة والسلام وأصحابه .

أقبل عكرمة بن أبى الحكم وأبو عبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص عندما طلع عليهم خالد بن الوليد بجيشه وارتج المكان بالتكبير .

قال مذعور بن عدى : كم عدد جيش الروم ؟

قال عكرمة : مائتان وأربعون ألفا منهم ثمانون ألف مقيد وأربعون ألفا منهم مسلسل للموت وأربعون ألفـــا مربوطون بالطمائم وثمانون ألف فارس وثمانون ألف رجل .

قال عياش بن أبى ربيعة :
ـ وسيصبح جيش المسلمين بمقدمنا ستة وثلاثين ألفا ان شاء الله .
قال عياض بن غنم : ما أكثر الروم وأقل المسلمين .

قال خالد بن الوليد فى ثقـــة : ما أقل الروم وأكثر المسلمين . وانما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان .

قال أبو عبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص :
ـ يا أبا سليمان لقد خرجت الروم فى تعبئة لم ير الراعون مثلها قط .

قال خالد لقد قال الله تعالى :
« أن ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده » .

وعادت الى رأس عياش الذكريات •••

رأى نفسه وقد عزم على الهجرة الى المدينة فذهب وهشام بن العاص بن وائل السهمى الى عمر بن الخطاب وواعداه أن يهاجرا معه • فقد كان عياش يخشى أن يعثر عليه أخوه أبو جهل فيمنعه من الخروج • وكان هشام يخشى قومه •• فقالا لعمر بن الخطاب :

ـ الميعاد بيننا التناضب من أضاة بنى غفار أينا لم يصبح عندها فقد حبس فليمض صاحباه •

ووجد عياش عمر بن الخطاب عند التناضب وأدركا أن هشام بن العاص قد حبس فسارا الى المدينة ونزلا فى بنى عمرو بن عوف بقباء وراحا ينتظران قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم • وجاء أبوجهل والحارث بن هشام أخوا عياش لأمه وقالا له :

ـ ان أمك نذرت أن لا يمس رأسها مشط حتى تراك ولا تستظل من شمس حتى تراك •

قال عياش : هى حرة • تختار لنفسها ما يحلو •

قال الحارث :

ـ أنت تعلم كم تحبك •

قال عياش : ويعلم الله كم أحبها • ولكن دينى أحب الى •

قال أبو جهل : ألا يحث دينك على البر بالوالدين ؟

قال عياش :

ـ بلى •

قال الحارث : فلم لا تبر أمك لقد ابيضت عيناها من الحزن عليك ؟

قال عياش : وكيف أبر أمى ؟

قال أبو جهل : تراها قبل أن تموت فان لم تكن تحب أن تراها فانها تحب أن تراك • ولا تخش شيئا فأنت من أنت سيادة فى قومك وما كان لنا أن نسوى بينك وبين غيرك •

ورق قلب عياش لأمه • وقرر العودة معهما ليراها ثم يرجع الى المدينة فقال :

ـ انتظر حتى أذهب الى رسول الله .

وقابل عياش عمر بن الخطاب فأخبره بأمر أمه فقال عمر :

ـ ان أبا جهل والحارث سيخدعانك ويفتنانك عن دينك . فوالله لو قد آذى أمك القمل لامتشطت ولو اشتد عليها حر مكة لاستظلت .

قال عياش : أبر قسم أمي ولى هناك مال فآخذه وأعود .

قال عمر : والله انك لتعلم أني من أكثر قريش مالا فلك نصف مالي ولا تذهب مع أبى جهل والحارث .

قال عياش : لابد أن أبر قسم أمي .

قال عمر : أما اذا فعلت ما فعلت فخذ ناقتى هذه فانها ناقة نجيبة ذلول فالزم ظهرها فان رابك من أمر أبى جهل والحارث ريب .. فانج عليها .

وركب عياش ناقة عمر بن الخطاب وسار مع أخويه وفى الطريق قال أبو جهل :

ـ لكم أتعبنى بعيرى هذا .. ما رأيك يا عياش لو تبادلنا الدابتين ؟
قال عياش : حبا وكرامة .

ثم أناخ ناقته . وعندما وطأت قدماه الأرض هجم عليه أبو جهل والحارث وأوثقاه رباطا فقال فى عجب :

ـ ماذا تصنعان ؟

قال الحارث : وفى مكة سنرمى بك فى محبس . ولن نكف عن تعذيبك حتى تعود الى رشدك .

ودخلا به مكة نهارا موثقا وقال أبو جهل :
ـ يا أهل مكة هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفيهنا هكذا .

وألقى به فى محبس لا سقف له مع هشام بن العاص مكبلين فى الحديد قال أبو جهل :

ــ ما بالسوط يؤدب أمثال هذين وانما بأسياخ الحديد المحماة •
وراحا يدعوان ربهما أن يفك أسرهما •• وأقبلت أم عياش فقالت :

ــ انهما لا يعيان ما يقولان لقد سحرّهما محمد •

قال عياش : معاذ الله أن يكون رسول الله ساحرا •

قالت أمه : من يدرى ربما كان الساحر أحدا من أتباعه يا ولدى •

قال هشام بن العاص :

ــ ما كان لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر ويكون ساحرا • ولولا أنك أم لاخ فى الاسلام لقلت لك ما يقول المؤمن للكافر •

قال الحارث بن هشام :
ــ أتترك أمك كافرة يا عياش ؟

قال عياش : بل أراك وأراها من الكفار بأنعم الله • أنتم أصنام تعبدون وتبتهلون الى أصنام •

قال أبو جهل : أتسمعين •• ؟ نحن ومن على شاكلتنا أصنام • لقد عشعشت فى رأسيهما أفكار لن يطردها التعذيب •• بل القتل •

قالت أمه : عذبه ولكن لا تقتله • قطعه ولكن لا تميته •
قال أبو جهل :

ــ واللات والعزى ومناة وهبل وكل اله عبدته العرب أنى لأستعذب أذيتهما وهو أحب الى مسمعى من هديل الحمام وسجع البلابل •

قالت أمه : أما أنا فقد نسيت ولا أكاد أذكر ان كان لى ولد يسمى عياش •

وتركت عياشا وهشاما فى محبسهما ينزل بهما صنوف العذاب •• وبعث الله فتاة أم أنمار من المسلمين المستخفين كانت تقدم اليهما الطعام فى محبسهما فى غفلة من الحارس • وكان عياش يستشعر الندم على أنه استسلم لأبى جهل والحارث وأنخدع بمكرهما وظن أن ذلك العمل كبيرة فأخذ يستغفر الله كثيرا •

فالمؤمن من قال فى مثل هذه الأحوال : ما أراد الله كان وما شاء فعل •• وظل حبيسا صابرا ينتظر الفرج من الله • وفى المحبس ترامى الى مسمع عياش

وهشام أن قريشا خرجت فى عدتها وعتادها وغرورها لتمنع عيرها التى اعترضها رسول الله وأصحابه فقال عياش فى صوت ينز حزنا :

ـ خرجت قريش فى ألف رجل •• كم ترى يكون جيش رسول الله ؟ مائة • مائتان • ثلاثمائة ؟

قال هشام :

ـ ستكون معركة غير متكافئة •• لكن الله معنا •

قال عياش : ومن كان الله معه فلا غالب له •

وربما حزن عياش كان يود أن يكون فى المدينة يقاتل بجانب رسول الله ويموت شهيدا • ويفوز بالجنة التي وعد بها المتقون والشهداء •

وعلم عياش وهشام بمقدم الحيثمان بن عبد الله الخزاعى من بدر وأنه اخبر أبا سفيان وصفوان بن أمية بهزيمة قريش •• ومقتل أبى جهل وعتبة وشيبة ابنى ربيعه وأمية بن خلف وابنه على وزمعة بن الأسود وأبى البختري وأسر عقبة بن أبى معيط والنضر بن الحارث وسهيل بن عمرو •• فهلل عياش وهشام :

ـ الله أكبر •• الله أكبر •

قال هشام : ورب البيت انى لأراه أول بشائر النصر •

قال عياش : أن نصر الله قريب ان شاء الله •

ونسى عياش آلامه عندما سمع الحارث بن هشام يقول لأبى سفيان بن حرب :

ـ والله ما ان لاقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقودوننا كيف شاءوا ويقتلوا منا كيف شاءوا •

قال أبو سفيان :

ـ القادمون من بدر يزعمون أن الملائكة كانت تقاتل فى صف محمد وأتباعه •

بَرِ عياش وهشام فرحا ، فاندفع أبو سـفيان والحارث نحوهما غاضبين وأمرا الحارس أن ينهال عليهما بسوطه وينزل بهما أشد العذاب ،

قال عياش : لكم أن تمعنوا فى ايلام جسدينا فهذا ما يتقبله المؤمن الحق بصبر لأن تحمل الألم من وسائل تحقيق الأمل والنصر ،

قال الحارث بن هشام : ومن أين لكما النصر وأنتما فى هذا المحبس ؟

قال عياش : لقـد حبسنا بارادة الله وقريبـا ننعم بالحرية بارادة الله يا عدو الله ،

نزل جيش الروم بالواقوصة على ضـفة اليرموك ، ورفع النسر الرومانى على ألوية فوق الرءوس وقد ارتدى الرومان الدروع وتسلحوا بالقسى والرماح والسيوف ،

قال عياش بن أبى ربيعة : سيعانى جيشنا من قلة الماء ،

قال خالد بن الوليـد : جالدوهم حتى تجلوهم عن الماء فان الله جاعل الماء لأصبر الطائفتين ،

نظر عياش الى جنود الرومان المقيدين بالسلاسل وتذكر قيـده فى المحبس بمكة ...

عقب يوم بدر أسلم عمير بن وهب وبعـد أن كان شيطان قريش وفارسها صار حوارى الاسلام ينصر المستضعفين من أتباع رسول الله ﷺ فى مكة وأخذ يقدم الطعام الى عياش وهشام مع فتاة أم أنمار .. وذات ليلة قال لهما : الخلاص قريب ان شاء الله ،

قال عياش : متى ؟

قال عمير : ان رسول الله ﷺ لم ينس المستضعفين من المؤمنـين يا عياش أنت وهشام ، وربما حدث قريبا ما لم يكن فى الحسبان ،

قال عياش : متى ؟

قال عمير : الى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا ،

وبعد ايام قليلة جاءهما الوليد بن الوليد مستخفيا ووضع حجرا تحت قيدهما ثم ضربهما بسيفه فقطعهما ثم حملهما على بعيره • وفى الطريق الى المدينة قال عياش : لا اكاد أصدق ما أرى يا هشام •

قال هشام : اننا نحلم يا عياش •

قال الوليد : بل تريان رأى العين وما كان الله ليخذلكما وقد تحملتما الآلام فى سبيله •

قال عياش : كنت أعيش بالأمل منـــذ أن أخبرنى عمير بن وهب أن رسول الله ﷺ يدعو لنا ولولا الأمل ما عبرنا الطريق من اليأس الى الرجاء وتطهر صدرانا من الظلام ونجس الكفر •

قال الوليد : كان رسول الله عليه الصـــلاة والسلام يدعو لك يا عياش أنت وهشام وأمثالكما من الضعفاء المحبوسين فى مكة فيقول : اللهم انج سلمة بن هشام وعياش بن أبى ربيعة وهشام بن العاص وضعفة المسلمين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا •

وأعرض عياش عن الأهل والاصهار وعن الدنيا وزخرفها وأقبل على الجهاد فى سبيل الله لا يلوى على شىء ولا يريد الا وجه الله والدار الآخرة •

وأرسله النبى عليه الصلاة والسلام الى بنى عبد كلال باليمن وقال له وهو يقدم اليه كتابا : خذ كتابى بيمينك • وادفعه بيمينك فى أيمانهم • فهم قائلون لك : اقرأ فاقرأ « **لم يكن الذين كفروا من أهل الكتـــاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة • رسول من الله يتلو صحفا مطهرة • فيها كتب قيمة • وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعـــد ما جاءتهم البينة • وما أمروا الا ليعبـــدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة • ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية • ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية • جزاؤهم عند ربهم جنـــات عدن تجـــرى من تحتها الأنهـــار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنـــه ذلك لمن خشى ربه** » فاذا فرغت منها فقل : آمن محمـــد وأنا أول المؤمنين فلن تأتيك حجة الا وقد دحضت ولا كتاب زخرف الا ذهب نوره ومسخ لونه • وهم قارئون فاذا رطنوا فقد ترجموا فقل : حسن آمنت بالله وما أنزل من كتاب الله • فاذا أسلموا فسلهم قضبهم التى اذا تحضروا بها سجد لهم • وهى

الانل قضيب ملمع ببياض وقضيب ذو عجر كأنه من خيزران والأسود البهيم كأنه من ساسم ثم أخرج بها فحرقها فى سوقهم •

وذهب عياش الى اليمن وقام بما أمره رسول الله ﷺ خير قيام •

قال خالد بن الوليد وهو يعد جيشه للقتال : يا أهل الاسلام ان النصر عز وان الفشل عجز وان الصبر مع النصر •

ثم أمر خالد عكرمه بن أبى الحكم والقعقاع بن عمرو وكانا على مجنبتى القلب أن ينشبا القتال •• فتقدم الفارسان وتبعهما عياش والحارث بن هشـــام والزبير بن العوام ••

والتحم الجيشان • وتطارد الفرسان • وأخذ عياش يقاتل صابرا محتسبا • مقبلا غير مدبر • ثابتا غير متردد حتى تكاثر عليـــه الروم فأصابوه • ولكنه ظل ممسكا بسيفه حتى كثرت جراحه •• وسقط على الأرض غارقا فى دمائه •

وارتفع تكبير المسلمين •• لقد نصرهم الله فى اليرموك • ونظر عياش حوله فرأى عكرمه بن أبى الحكم جريحا والحارث بن هشام مشرفا على الموت •

قال عياش : أريد جرعة ماء •

فأقبل القعقاع بن عمرو باداوته وقدمها الى عياش ولكنـــه رأى الحارث ينظر الى الماء فقال عياش للقعقاع : اذهب بها الى الحارث •

فلما جاء القعقاع الى الحارث رأى عكرمة ينظر الى الماء فقـــال الحارث للقعقاع : اذهب بالماء الى عكرمة •

فلما ذهب القعقاع الى عكرمة بن أبى الحكم وجده قد أسلم آخر أنفاسه • وعاد القعقاع الى الحارث بن هشام بالماء فوجده قد لحق بالدار الآخرة • وعندما تقدم نحو عياش •• كانت روحه ترفرف فى الجنة •